

# فجائين العشق العربي

أحمد سويلم







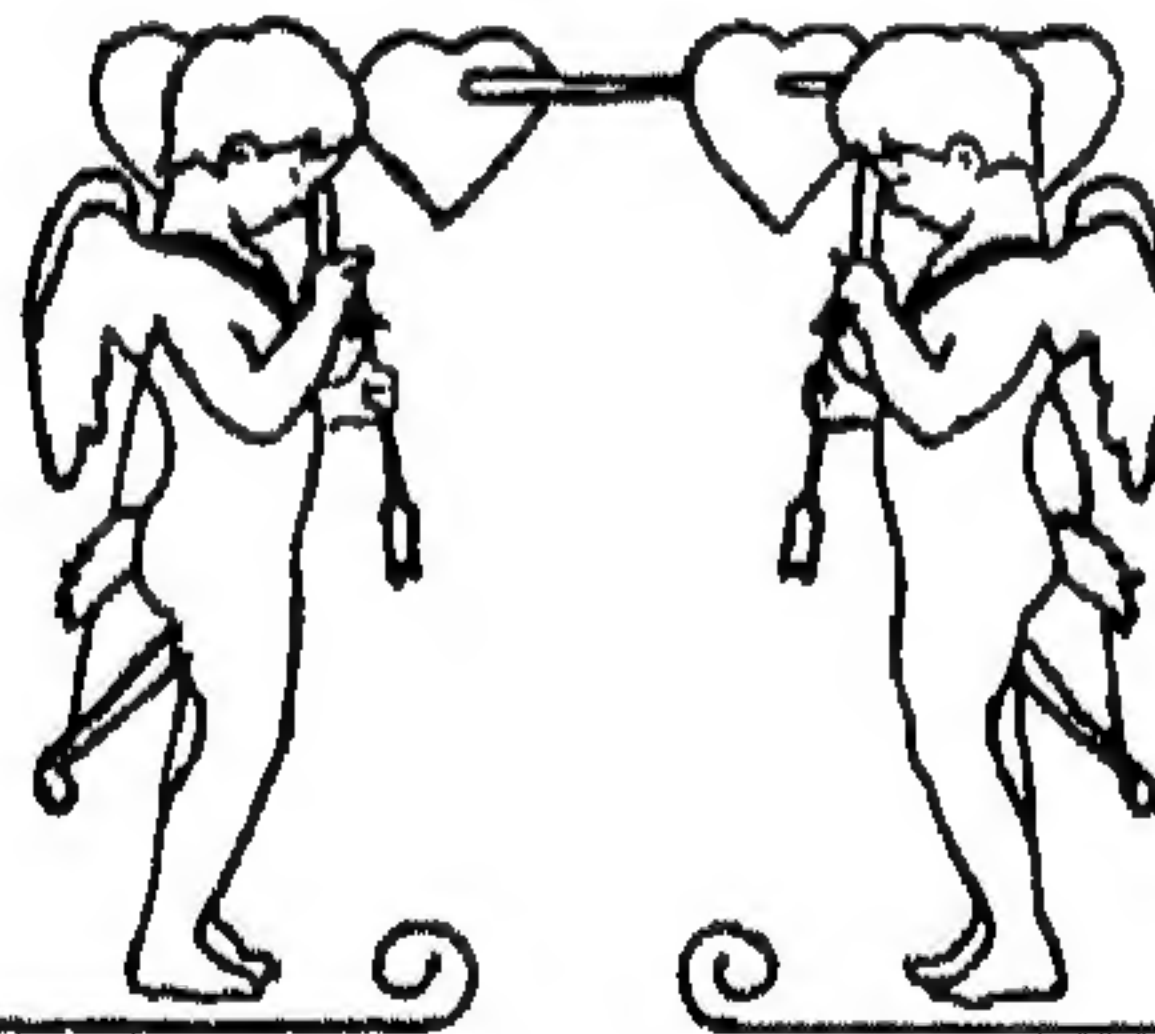
# مجانين العشق العربي

تأليف  
أحمد سويلم



إلى العشاق المجانين  
فى كل العصور

أحمد سويلم





## هذا الكتاب

● هل للحب وجود في زماننا ؟!..  
لا بد أن هناك فرقا بين العاشق القديم ..  
والعاشق العصري !  
ثم .. ماذا عن الجنون في العشق .. وهل كان  
العشاق المجانين في التراث العربي صادقين  
في مشاعرهم .. وأشعارهم ..  
لا بد انهم كانوا يمثلون نماذج بشرية  
متفردة في عصورهم .. فكيف نراهم اليوم  
وقد فصلتنا عنهم قرون من الزمان ؟  
● تقدم رحلة هذا الكتاب خمس عشرة  
شخصية عاشقة مجنونة من تراثنا القديم ..  
تؤكد الصدق والعطاء والتضحية والتوحد في  
الاحساس والعشق والجنون .. ولكن بصورة  
مختلفة .. وإن جمع بينها ذلك الحب البائس  
المحروم الذي يملك على العاشق حياته  
وأشعاره حتى الموت .  
● إنها ذاكرة العشق العربية ننثرها اليوم  
لعلها تخصب الأرض .. والقلب .. والعقل ..  
في عصر يحتاج إلى الخصب والعطاء !



أحمد سويلم





## تمهيد

### في الحب .. والجنون

- قيل لأعرابي :

— إن ابنك قد عشق ..

قال : أئى بأس فى هذا .. إنه إذا عشق .. نَظَّف .. وظَرَّف .. ولَطَّف !

— ويقول حكيم :

أعقل ما فى الحب .. جنونه !

- ويقول آخر :

إن ألد ما فى الحب .. الجنون !

أما الحب .. فقد أجهد الفلاسفة والعشاق والمتيمون أنفسهم فى تعريفه .. ولم يفلح منهم أحد فى الوصول إلى تعريف جامع مانع - كما يقولون - وغاية ما وصلوا اليه هو تناول صفاته .. وأحواله .. واشتقاقاته اللغوية المختلفة .

فهذا ابن حزم يبدأ رسالته ( طوق الحمامة ) قائلاً :

— إن الحب أوله هزل .. وآخره جد .. وهو لا يوصف .. بل لا بد من معاناته حتى تعرفه والدين لا ينكره .. والشريعة لا تمنعه .. إذ القلوب بيد الله عز وجل .. وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير ! ثم يسوق ابن حزم ثلاثين باباً يفصّل فيها علامات الحب وإشاراته .. وحالاته رغبة منه فى الوصول إلى الكمال فى العشق .

ويذكرنا ابن حزم بكتاب ( فن الهوى ) الذى كتبه أوفيد ( ٤٣ - ١٨ ق . م ) والذى قسّمه الى ثلاثة أبواب : يشرح فى أولها كيف يجد طالب الهوى ساعياً ليستولى على قلب خليلته .. وفى الثانى يعلمه كيف يحتفظ بحبها الى أطول أمد ممكن .. وفى الثالث يتوجه الى المرأة بنصائح

فيعلمها كيف توقع الرجل في حبالها وكيف تحتفظ به لمدة أطول .  
أما ابن داود في كتابه ( الزهرة ) فيكشف عن جوهر النظرية العربية في  
الحب ..

فما هي الحب لدى ابن داود مرادفة للبحث والغوص إلى الأعماق البعيدة  
أو التسامي إلى القمم الشاخنة .

ويمكن أن نقول إن الصورة الشائعة للحب لدى القدماء تعتمد على  
مصدرين أساسيين : أولهما : الحب العذري الذي بولغ فيه كثيراً فيما ينطوي  
عليه من ضروب الحرمان .. والصدِّ والهجر .. واللقاء والفراق ..  
وما يحدث فيه من حالات الاكتئاب .. وكثيراً ما تنتهي هذه الأحوال إلى  
الجنون .. فالموت .

أما الصورة الثانية فمصدرها الأدب الشعبي والحكايات المتخيلة في كتب  
النوادر والأخبار .. حيث تلعب الملاذ الجنسية دوراً أساسياً فيها .. وتمثل  
الرغبة في الاستمتاع بالمحبوب الدافع الأول للمغامرة .. والتعرض  
للأهوال .. وأيضاً بذل المال .

ويميل بعض المفكرين إلى اعتبار قصص الحب العذري صورة شاحبة  
للحب المحروم .. واعتبار القصص الشعبي صورة صارخة للحب المنهوم !  
كما اهتم دارسو الحب بعلاماته : من نحول الجسد .. إلى الكمد ..  
فالحزن .. فالإكتئاب .. وكذا إدمان النظر .. والاقبال بالحديث ..  
والانبساط الزائد .. والتضايق في المكان المتسع .. واستدعاء صوت  
المحبوب .. ومعرفة أخباره .. والوحدة .. والتأمل .. إلى نهاية ما يصدر  
عن الحواس والعقل والقلب .. في إطار المحبوب .. وكأن المحب هنا ينظر  
للعالم من عيون محبوبته فحسب .

وقد شغف العرب منذ أقدم العصور بنوع العشق العفيف .. وكانوا  
يقدرُون أصحاب هذه العاطفة .. وكانوا يُعرفون بالعشاق المتيمين والعشاق  
العذريين .. والعشاق الغزليين فكان تراثهم أروع ما ورثه العرب للأجيال  
المتعاقبة .

وحينما جاء الاسلام قدّر الحب والمحبة . . في إطار التعفف . . فقد عدّ  
الرسول صلى الله عليه وسلم من بين من يظلمهم الله في ظله يوم القيامة  
« . . . . . » ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها . . فقال : إني  
أخاف الله ! »

بل يروى عن الرسول الكريم قوله :  
— من عشق . . وكنتم وعف . . وصبر . . غفر الله له وأدخله الجنة . .  
وعنه أيضا . . أنه قال :  
— من عشق . . فكتم . . وعف فمات . . فهو شهيد  
والعذريون يذعنون للحب باعتباره قضاء من الله . . ويصبرون على  
تباريحه راجين عليه الثواب ، بل يرون أنفسهم مجاهدين أبطالاً . .  
فلا ييغون عن هذا الجهاد حولا . . بل يرجون منه المزيد . . فإذا ماتوا . .  
ماتوا شهداء . .

ومن ثم يقترب العشاق على هذه الحال من حب التصوفة . . حيث لجأ  
بعض الصوفية إلى الوصول إلى الذات العلية عن طريق التأمل في الجمال  
الجسماني . .  
ولنقرأ لابن الفارض قوله :

أيا كعبة الحسن التي لجمالها	قلوب أولى الألباب لبث وحبّت
بريق الثنايا منك أهدى لنا سنا	بريق الثنايا . . فهو خير هدية
وأوحى لعيني أن قلبي مجاور	حماك فتاقت للجمال . . وحنّت
جمال محياك المصون لشامه	عن اللثم فيه عدت حياء كميّت

ألا نرى هنا هذا القرب في كلا العشقين . . العشق الانساني والعشق  
الالهى .

وقد يؤدى الحرمان والصد إلى الجنون . . أو على حد قول مُلحّ الهذلي :  
فلم أر مثلي يستجنّ صبابه

من البين أويكى إلى غير واصل



فالجنون هنا يعنى زوال العقل أو فسادة .. ثم هو يؤدي إلى الموت .  
أو يؤدي إلى السلوك والبعد !

والجنون له صورته .. ومؤيدو وجوده في العشق .. فقد وصفه الكثيرون  
ومنهم المتصوفة وجعلوه أعلى مرتبة للعشق ..  
إن معاني الجنون - في اللغة - الاستتار .. والصوفي مستتر عن الخلق .  
نافر منهم .. مشغول عنهم بتأملاته ومواجيده ..  
وكذلك العشاق .. يستترون عن أقوامهم .. نافرون منهم .  
مشغولون بتأملاتهم ومواجيدهم ..

والعشاق المجانين في التراث العربي كثيرون .. فيهم من اشتهر بجنون  
وفيه من لم يشتهر .. لكنهم يجمعهم خيط واحد .. يحرم على العاشق  
عشقا في غير محبوبته .. وربما يحرم على نفسه شعرا في أي غرض آخر  
العشق .. ويغلب على العشاق المجانين الشعر .. فهو أقرب طرق التعبير  
عن الاحساس الصادق .. والخيال والتأمل .. وإفراغ الشحنة العاطفية  
أبيات ..

ويقرب الشعر من الجنون !

فالشعر فن .. والفن لون من ألوان التمرد والثورة على المألوف  
والواقع .. انه يضرب بجناحيه في آفاق أسنى وأبعد من الأرض .  
هو إذن ضرب من الجنون ..

وهم يقولون : الفنون .. جنون ..

لكن الشعر هو (تفريغ) نفسي لأحلام الشاعر الذي لا يستطيع  
يحسدها .. ومن ثم تتداخل دائرته مع دائرة الجنون ..  
ويجمع بين العشاق المجانين ذلك الحب البائس المحروم الذي يملكه  
حياته وأشعاره حتى الموت ..

وهذه الرحلة التي بين يديك أيها القارئ العزيز .. تحاول أن تطو  
بهذه النماذج الذي أشهرها وأغفل بعضها التاريخ العربي ..  
وقد حرصت في اختيار العاشقين ثلاثة شروط مهمة : أولها ان ي

العاشق طوال حياته لا يعشق الا معشوقته .. والثاني ان يموت دون عشقه .. والثالث ان يكون شاعرا يسطر قصته في قصائده .. فبغير الشعر لم يكن يصلنا عنه خبر .

ولا ندعي أنها رحلة تطوف بكل النماذج .. وإنما هي تنتقى وتختار وتصطفى وتنقى وتقدم في صياغة سلسلة شاعرية الى حد كبير .. تجمع بين هؤلاء المتيمين وهؤلاء العذريين .. مؤكدين توحدهم في الاحساس والعشق والجنون .. ولكن بصور مختلفة .. حرصنا على تنوعها بقدر الاستطاعة حتى لا تتكرر الصور نفسها ..

وقد حرصنا أيضا أن يقرأها الكبار والناشئة .. في إصرار على تقديم التراث العربي لقارئ اليوم في بساطة وتوثيق ..

ولا يحسب القارئ أننا تعجلنا في شيء .. فمسئولية تقديم التراث ليست بالأمر اليسير .. لهذا كان رجوعنا الى المصادر والمراجع الموثوقة التي تروى وتختلف .. ولم نسلم بأية رواية أو أى أشعار إلا بعد أن يرتاح إليها وجداننا .. ويطمئن إليها ذوقنا وإحساسنا ، وهى مصادر ومراجع كثيرة تبدأ من أمهات الموسوعات الأدبية وتنتهى عند أحدث الدراسات .. والدواوين .. والأخبار ..

وبعد ...

فهذا هو حصاد رحلة استغرقت جهداً وإخلاصاً وحباً .. وجنوناً أيضاً!  
والله الموفق .

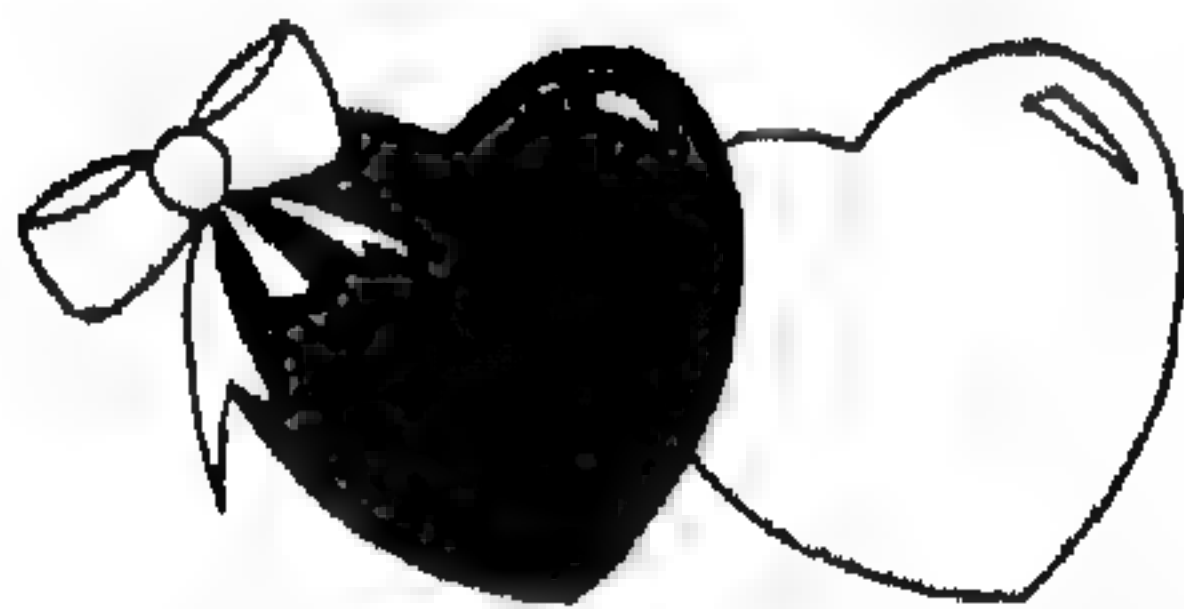
**احمد سويلم**





# مجانين العشق العربى

تأليف  
أحمد سويلم



المرقش الأكبر  
وصاحبه أسماء





سكنَّ ببلدة وسكنتُ أخرى  
 وقُطعت الموائق والعهودُ  
 فما بالي أفي ويُخَانُ عهدي  
 وما بالي أصاد ولا أصيدُ

المرقش الأكبر

١

واحد من أقدم العشاق المتيمين الذين عاشوا العصر الجاهلي . . وضربوا  
 مثلاً في الحب العفيف . . ومات دون حبه . . فكان شهيداً . .  
 وربما تشابهت مع قصته قصص أخرى في العصور التالية - خاصة قصة  
 عروة وعفراء - مما يدل على أن هذا العشق كان ثمرة الحياة الاجتماعية في  
 الجزيرة العربية . . بما تتميز به من قسوة وطغيان . . دفع هؤلاء العاشقين  
 إلى اختراق جدران هذه الحياة بلون من ألوان العاطفة الروحية . . والحب  
 العفيف . . والتوحد مع المحبوبة . .

ومهما اختلفت أو تشابهت قصص الحب . . فيكفي أن بطلها هو هذا  
 الإنسان العربي الذي يقتحم بقلبه ووجدانه تلك البداوة الشرسة . .  
 فيحيلها إلى واقع جميل أو هو يبكي على فقدان هذا الواقع . . ولهذا فإن  
 خيال هؤلاء الشعراء يختلف كثيراً عن خيال غيرهم من الشعراء . . في أنهم  
 يلونونه بلون واحد: عشق واحد . . ومغشوقة واحدة . . ومن ثم فإنهم  
 يخوضون ويكتشفون ويتوحدون . . ويقفون حياتهم كلها وأشعارهم كلها  
 على هذا الواقع المرير . .



والمرقش الأكبر أحد من قال الشعر فلقب بما جاء في شعره . . فقد أنشد يوماً قوله :

النشرُ مسكٌ والوجوه دنا      نيرٌ وأطرافُ الأكف عنم  
والدار وحشٌ والرسوم كما      رقيشٌ في ظهر الأديم قلم  
لست كأقوامٍ خلأئقهم      نث أحاديث وهتك حرم

فلقب بالمرقش . . نسبة الى البيت الثاني  
أما اسمه فهو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس  
بن ثعلبة والذي ينتهى نسبه الى بكر بن وائل . .  
وهو عم المرقش الأصغر هذا الشاعر الذي لم يسلم قلبه أيضاً من العشق  
كما ان المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد . .

والمرقشان كلاهما ومعهما طرفة كان لهم موقع في بكر بن وائل وحروبها  
المشهورة مع بني ثعلب تلك الحروب التي هي من أهم أيام العرب . .  
وبالرغم من فروسية المرقش الأكبر . . وصلابة بأسه وقوته وشجاعته كان  
يمتلك قلباً ليس عصياً على العشق ، بل عاش في شبه مأساة حقيقية جمعت  
أطراف حياته في قبضة واحدة . . هي الحب المستحيل . .

وتجمع كتب التاريخ الأدبي أيضاً على أن جل أشعاره كانت تمتزج  
بالفروسية والعشق معاً لصاحبه أسماء بنت عمه عوف بن مالك  
بن ضبيعة . . والذي يروى عنه ابن قتيبة انه أسر المهلهل في حروب بكر  
وتغلب . . وبقي في إسماره الى أن مات . .

وكما ينشأ الأطفال . . نشأ المرقش وصاحبه أسماء . . في جو البادية الحار  
بشمسه . . ودفء عواطفه . . وبراءة نظراته . .  
ولم يكن العرب أهل حضر . . بل كانوا أهل رعى وزراعة وعمل . .





فهم يرعون إبلهم وأغنامهم .. ويزرعون فوق الربى ما استطاعوا ..  
ويعملون في بعض الصناعات التي تتيحها لهم البيئة ..  
ويشب الأطفال .. أمام أعين الجميع أصدقاء أحياء .. إلى أن جاء  
اليوم الذي دخل فيه المرقش على عمه عوف .. فرحب به وضمه إلى  
صدره :

— أهلا بك يا ابن أخى .. إننى معجب بك شاباً فارساً مغيراً ..  
قال المرقش :

— أيستحق هذا الشاب الفارس أن يخطب أسماء يا عمه ..  
وبالرغم من أن المرقش وأسماء أمام الجميع لا يفترقان .. فإن أباها قد  
بدا وكأنه فوجيء بهذا العرض .. وأراد أن يهرب من المرقش بحجة  
مفتعلة .. فقال :

— اسمع يا ابن أخى .. تعلم كم أحبك وأوثرك على غيرك .. لكن  
أسماء ابنتى .. وأقرب أبنائى الى قلبى .. ولن أزوجك حتى يكون لك  
بأس فى قومك .. ومقام كبير لا يناله غيرك ..  
— انه أمر يطول يا عمه ..

— هذا ما عندى يا ولدى .. ولك منى الوعد أن أحفظ أسماء لك .





٢

إن الغريب في مثل هذه القصص التي تتعلق بالقلوب .. أن يعد الآباء  
أبنائهم .. ثم يخلفون .. لأمر أو لآخر .. ربما طمعاً في ثراء أو مقام  
أو حسب أو نسب .. ثم حين يتحقق ذلك لمن وعدوهم .. لا يفعلون  
شيئاً من أجلهم .. وإنما يدوسون على قلوب هؤلاء الصغار فيموتون  
بالعشق المقدس ..

لقد وعد أبو أسماء ابن أخيه المرقش بأن يحفظها له حتى يحقق البأس  
والمال والشرف والرياسة ..

ولم يكن هذا صعباً على فارس مثل المرقش وإن كان يتطلب وقتاً ..  
ومن ثم انطلق المرقش في رحلة طويلة الى بعض ملوك اليمن يمتدحهم  
وينال منهم العطايا والشرف ..

ويطول الغياب ! ..

وتلعب الأقدار لعبتها المتقنة !

فقد أصابت عوفاً شدة في ماله وحياته .. ومكث في بيته حزيناً يائساً ..  
يكاد هو وأهل بيته يموتون جوعاً وحاجة ..

ويساعده أبناء قومه على استحياء شديد .. فقد كان عوف ذا مكانة في  
قومه .. لا يمد يده الى أحد ..

وينسى عوف حكاية المرقش وابنته في زحام هذه الشدة العسيرة .. الى  
أن جاء يوم .. وطرق بابه أحد رجال بني مراد ..

ويعلم هذا الرجل حاجة عوف الى المال ..

ويجدها فرصة سانحة ليعرض عليه مائة من الابل مهراً لأسماء ..  
ترى هل يتردد الأب وهو في أشد الحاجة الى المال وقد اقترب من باب  
داره .. وماذا يفعل مع وعوده الماضية التي أوثقها مع المرقش ..  
ولابد أن المرقش سوف يعود يوماً منتصراً ومحققاً ما أراد له أبو أسماء فهو  
فارس لا يشق له غبار .. والفارس قادر على نيل ما يريد ..



لم يفكر أبو أسماء في كل هذا .. فقد ضاق فكره .. وتحجر وجدانه ..  
 وحدقت عيناه في ثراء هذا الرجل الغريب عن قومه ..  
 رحب عوف بعرض الرجل الثرى .. وبالأبل المائة .. لا بد أن باب  
 الخير قد انفتح .. وانفجرت تلك الحلقة الضائقة عليه وعلى أهل بيته ..  
 ويزف عوف ابنته أسماء الى زوجها الثرى ..  
 ربما أحرست التقاليد العربية لسان أسماء في الدفاع عن حبها للمرقش  
 فرضيت بقضاء الله .. ورضيت أن تعيش مع زوجها ارضاء لأبيها .. لكن  
 قلبها لا يزال مع هذا الغائب البعيد ..  
 ماذا تخبىء لك الأيام أنت أيضا أيها العاشق الغائب .. وأنت تعيش  
 ليل نهار مع طيف أسماء وتنشد لها دائما :

أغالبك القلب اللجوج صباة	وشوقاً الى أسماء أم أنت غالبه
يهيم ولا تعيا بأسماء قلبه	كذاك الهوى إمراره وعواقبه
لأسماء هم النفس إن كنت عالما	وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه
إذا ذكرتها النفس ظلت كأنى	يزعزعنى قفقاف ورد وصالبه

ماذا ينتظرك أيها الفارس العاشق حينما تعود ؟ هانتذا محير القلب في عشق  
 أسماء .. فقد أصبحت أسماء كل شيء في حياتك .. ونجوى فؤادك التى  
 لا يرضى سواها .. وانه ليذكرها فيضطرب جسده .. وترتعد أطرافه كأنما  
 مسته حمى شديدة ..

إنها شكوى العاشق الحالم .. مشوبة بالجنون والجراح ..





٣

ويعود المرقش ومعه مال كثير ..  
 عاد منتصراً مزهواً كما أراد له عمه عوف ..  
 تشرق البسمة على وجهه .. يلوح بسيفه .. ينشد أشعاره في معشوقته  
 أسماء ..

وكان أبو أسماء قد أفاق من تلك الغيبوبة الشديدة .. فأدرك خطأه  
 وخطيئته وجمع أهله وبعض أصدقائه يشاورهم في أمر المرقش إذا عاد ..  
 ويطول الحوار .. وتعلو الأصوات .. لكنها تخمد في النهاية على حل  
 غريب .. لقد اجتمع الحاضرون على ألا يخبروا المرقش بما حدث .. بل  
 يخبرونه أنها ماتت ..

ولكى تتقن اللعبة .. ذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه .. ولفّوه  
 في ملحفة وأودعوها القبر ..

وها هو ذا المرقش يدخل على قومه سيداً فارساً صاحب بأس ومال ..  
 — هأنذا يا عم .. لم أغب كثيراً .. عدت لك بأكثر مما أردت ..  
 — عودة حميدة يا ولدى .. ومرحباً بك .. لكن !

قاطع المرقش وعيناه تتسعان بالدهشة والتوجس :

— لكن ماذا يا عم ؟

ويفتعل أبو أسماء البكاء .. ويفتعل إخوة أسماء الحزن ..

— لقد ماتت أسماء يا ولدى .. وهذا أمر الخالق ..

— ماذا تقول .. متى .. كيف .. أين ؟

أصاب المرقش هوس شديد .. إن هذا يعنى ضياع كل شيء من هذ  
 العاشق .. فما فائدة الحياة بعد أسماء ..

— دلوني على قبرها !

وقبل أن يفيق من جنونه .. صحبه الجميع الى قبر الكبش الذى فيه  
 دفنوا عظامه ..





قال أحدهم :

— أتريد أن تنبشه لتصدّقنا ..

لم يُعر المرقش كلامه أى اهتمام .. فقد ثبت عينيه على القبر .. وغاب  
فى أحلامه المستحيلة ..

ويحاول الجميع أن يخرجوه من همه دون جدوى .. فانصرفوا .. وتركوه  
وحيدا .. مع هذا القبر الموهوم ..

وظل المرقش يقضى يومه كله بجانب القبر .. يبكى أحلامه وعشقه ..  
ثم إذا حل الظلام عاد منهوكاً الى داره لا يذوق النوم ..

ويصيب المرقش نحول شديد .. وهم أشد ..

وذات يوم .. كان المرقش يستند إلى القبر وقد تغطى بثوبه .. وعلى بعد  
قريب منه يلعب ولدا أخيه بكعبين لهما .. وهو يتابعهما .. حتى اختلف  
الولدان على أحد الكعبين واختصما ..

وهنا قال أحدهما الى الآخر :

— هذا كعبى .. منحنى إياه أبى من الكبش الذى دفنوه فى هذا  
القبر .. وقالوا إذا جاء المرقش أخبرناه انه قبر أسماء ..

ويدرك الولد الآخر فداحة الموقف ويحاول أن يضع يده على فم أخيه  
الصغير .. لكن لا جدوى .. فقد صكت أذن المرقش هذه الكلمات ..  
فنهض من مكانه وكأنه أفاق من سبات عميق أولدغته أفعى ..

— تعال أيها الولد .. ماذا تقول ؟

رد الولد الآخر : لا شىء يا عم .. إنه يخرف ..

قال المرقش : إصمت أنت .. لا حاجة لى لكلامك ..

وأمسك المرقش بيد الصغير .. وأخذ يداعبه ويلطفه .. حتى سمع منه  
القصة كاملة .. فالصغار لا يعرفون الكذب !

وأطلق الصغير .. وغاب فى تأمل عميق

ثم بدأ يضحك بصوت عال مجنون :





— ما أغبانى .. وما أشقانى بخيبتى .. لن يجدى خلق الفارس فيك  
يا مرقش .. عليك الآن أن تعرف الحقيقة ..  
لم يجتهد المرقش كثيراً في معرفة الحقيقة .. فقومه جميعهم يعرفونها ..  
لكنه حينما دخل على عمه .. واجهه مواجهة شديدة .. فلم يستطع إلا أن  
يبوح له بكل شيء ..  
— لعنة الله على المال يا عماء .. أتبعنى من أجل المال .. أتحنث في  
قسمك وتخلف وعودك من أجل بريق المال ؟  
ويبدأ المرقش في مرحلة جديدة .. انه فارس يريد أن يستعيد ما فقده في  
ساحة القتال !



ويعد المرقش نفسه للرحيل ..  
لم يزحل وحده .. بل أخذ معه أجيلاً من غفيلة كان عنده وزوجته  
الأجيرة وركب الثلاثة الى حيث يكون المرادى - زوج أسماء .  
كم أنت طويل أيها الطريق ..  
لكن المرقش لا يثنيه طريق طويل .. وان كان الأجيران قد رحلا معه  
على مضض ..  
وكان الغفلى وزوجته يعدان طعاماً للمرقش .. لكن المرقش كان قليل  
الطعام .. دائم التأمل والغياب .. ان كل ما يبغيه أن يبلغ أسماء !  
وقرب نجران .. مرض المرقش ..  
وكان لابد أن يستريح كثيراً .. فلم يعد لديه قدرة على ركوب دابته  
فتزلوا كهفاً ومكثوا فيه أياماً ..  
لم يكن الكهف بعيداً عن ديار أسماء .. لكنه الآن أمسى بعيد المنال ..  
وقد فقد المرقش القدرة على التحرك والاستمرار في الرحيل ..



وينشد المرقش مأساته قائلاً :

سكنُ ببلدة وسكنت أخرى	وقطعت الموائق والعهودُ
فما بالي أفي ويخان عهدي	وما بالي أصاد ولا أصيدُ
ورب أسيلة الخدين بكرٍ	منعمة لها فرع وجيدُ
لهوتُ بها زماناً من شبابي	وزارتها النجائب والقصيدُ
أناس كلما أخلقت وصلاً	عناني منهم وصلٌ جديدُ

وساءت الحالة الصحية للمرقش .. وعجز صاحبها المرقش عن مداواته  
ومساعدته .. إلى أن جاء يوم تحدث الأجير الغفلى إلى امرأته على مسمع من  
المرقش :

— كفانا جهداً مع هذا المريض الذي لن يقوم أبداً .. اتركه .. فقد  
هلك سقمها وهلكنا معه ضرا وجوعاً .. ما الذي يحملنا على الجلوس هنا .  
وترد عليه امرأته :

— من الخطأ وعدم الوفاء أن نتركه هنا سقيماً هكذا للوحوش  
والضواري ..  
قال :

— ما حيلتي .. لقد سئمت ..  
وأخذت المرأة تبكي وتندب حظها .. فهي لا تريد أن تترك سيدها في  
هذه الشدة ..

ويتحاور الزوجان .. ويعلو صوتهما .. فيصرخ الزوج في زوجته :  
— إذا لم تطيعيني .. تركتك وذهبت عنك ..  
وأدرك المرقش أن صاحبيه راحلان لا محالة .. وأنها تاركانه وحده في  
هذه القفار الجرداء ..

فاقترب من رحل الأجير وكتب عليه هذه الأيات ..



يا صاحبي تلبثا لا تعجلا  
فلعل لبثكما يفرط سيئاً  
يا راكباً إما عرضت فبلغن  
لله دركما ودر أبيكما  
من مبلغ الأقوام أن مرقشاً  
ذهب السباع بأنفه فتركه  
وكأنما ترد السباع بشلوه  
إن الرواح رهين ألا تفعلاً  
أو يسبق الإسراع سيياً مقبلاً  
أنس بن سعد إن لقيت فحرملاً  
إن أفلت العبدان حتى يقتلا  
أضحى على الأصحاب عبثاً مثقلاً  
ينهش منه في القفار مجدلاً  
إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلاً

واستراح المرقش بعد أن كتب هذه الأبيات وكأنه يوجهها إلى أخيه حرملة  
حينما يقرأها ..

ويعود العبدان الأجيران إلى قوم المرقش .. ويخبران الجميع أن المرقش  
قد مات ويشك حرملة أخو المرقش في هذا الخبر .. فأخذ يفتش الرجل ..  
ويقلبه حتى عثر على هذه الأبيات فقرأها .. وفهم مقصدها .  
وهنا قص العبدان على حرملة حقيقة الخبر .. فقتلها بعد أن وصفا له  
موضع الكهف الذي فيه المرقش .

#### هـ

وكان المرقش قد استطاع بعد رحيل العبدان أن يقترب من باب الكهف  
ويطل على الصحراء والشمس المشرقة .  
وفجأة لاحت على ربوة قريبة أغنام ترعى .. أخذت تجرى وتلعب حتى  
اقتربت من الكهف .. فأقبل الراعى يسوق أغنامه الشاردة فوقعت عينه  
على المرقش وقد ساءت حاله .  
ويقترب الراعى من المرقش .. ويعرف منه حكايته .  
لقد كان الراعى يعمل عند زوج أسماء ..

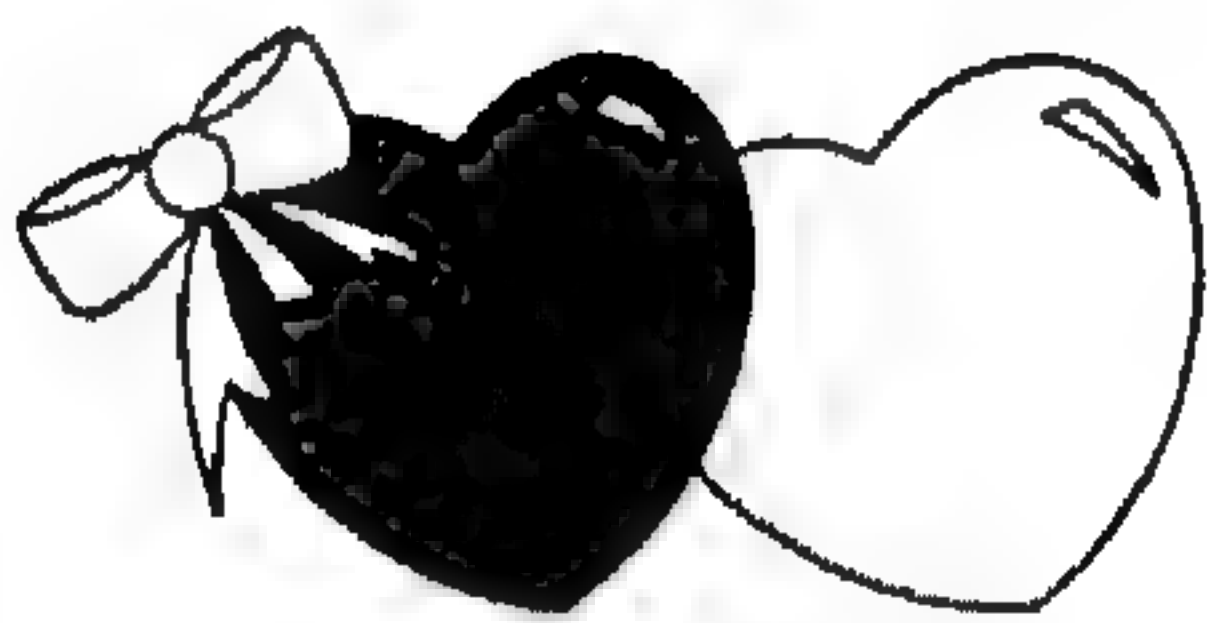


أية صدفة تلك التى ساقها القدر إلى هذا العاشق المجنون .. لا بد أنه قريب من أسماء .. ولا بد أن الأوان قد آن للقاء المرتقب .  
 دبت الدماء فى عروقه مرة أخرى .. وقد منحه الراعى بعض الطعام ..  
 وخفق قلبه لمعرفة أخبار حبيبته أسماء .  
 ثم سأل المرقش هذا الراعى الطيب :  
 — أتستطيع يا صاحبي أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ..  
 قال الراعى : لا ياسيدي ولا حتى أقرب منها .. لكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً وتذهب بلبنها .  
 وتورد وجه المرقش .. ولمعت فى ذهنه فكرة :  
 — إذن خذ خاتمي هذا .. فإذا حلبت فألقه فى اللبن .. فإن سيدتك أسماء ستعرفه .  
 وتردد الراعى خائفاً .. لكن المرقش طمأنه إلى أن ما يفعله هو خير له بل سوف ينال مكافأة على ذلك لم ينلها راع قط .  
 ويقتنع الراعى بعد حوار طويل .  
 فلما جاءت الجارية إلى الراعى بالقدر وحلب لها العنز طرح فيه الخاتم .  
 وانطلقت الجارية إلى أسماء وتركت القدر بين يديها وانصرفت .. فلما سكنت رغبة اللبن أخذته وشربته .. حتى قرع الخاتم ثنيتهما .. فأخذته بأصابعها وحدقت فيه .. وأدركت أنه للمرقش ..  
 وهنا استدعت الجارية وسألتها فى صراخ :  
 — ما هذا الخاتم ؟  
 قالت الجارية فى خوف شديد :  
 — ليس لى به علم ياسيدي .. أقسم لك  
 قالت أسماء :  
 — إذن اذهبى إلى سيدك ودعيه يحضر حالا ..  
 ويحضر زوجها فى فزع شديد فدخل عليها قائلاً :



— لم دعوتنى يا أسماء .. خيرا ؟  
 قالت له : ادع عبدك راعى غنمك ..  
 فدعاه الرجل .. فقالت :  
 — اسأله الآن .. أين وجد هذا الخاتم ؟  
 فقال الراعى فى براءة وصدق :  
 — وجدته مع رجل فى كهف قريب قال لى اطرحه فى اللبن الذى تشربه  
 سيدتك أسماء .. فإنك مصيب به خيرا .. ولم يخبرنى من هو .. ولقد  
 تركته فى الكهف يشرف على الموت .  
 وهنا صمتت أسماء عن التعليق ..  
 ويسألها زوجها : لمن هذا الخاتم .. ومن هو هذا الرجل ..  
 فترد أسماء فى صوت خفيض :  
 — إنه خاتم المرقش .. وأرجو أن تعجل فى إحضاره الآن وتنقذه من  
 الهلاك .  
 ركب الزوج فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى وجداه .. فحملاه  
 إلى البيت وهو فى نازعه الأخير .  
 لقد فتح عينيه على أسماء .. ودق قلبه من جديد دقات معدودة .. وجُنَّ  
 بلمس يدها .. لكن القدر لم يسعف هذا العاشق المجنون فمات عند  
 حبيبته أسماء ودفن فى أرض مراد .  
 وهكذا تطوى صفحة من صفحات العشق المجنون .. الذى يسلب العاشق  
 عقله ووجدانه وأحلامه جميعا .





المرقش الأصفر  
ومعاقبة الذات





أفاطم إن الحب يعفو عن القلى  
ويُجشم ذا العرض الكريم المجاشما  
ألا فاسلمى ثم اعلمى أن حاجتى  
إليك .. فردى من نوالك فاطما  
أفاطم لو أن النساء ببلدة  
وأنت بأخرى لاتبعك هائما  
المرقش الأصفر

# ١

لعلنا نكون منصفين حينما نقرر أن قصص الحب المجنون - على قلتها - في  
العصر الجاهلى كان لها مذاقها الخاص الذى قد يختلف عن مثيلاتها لدى  
الشعراء العذريين .

فما كانت تمليه التقاليد .. وظروف الحياة .. وكثرة الصراعات  
والحروب .. جعلت مثل هذه القصص تأخذ لونا خاصا .

كما نلاحظ أيضا أن السبب فى قلة هذا النوع من القصص يعود إلى  
أسباب كثيرة منها زحام الأغراض الشعرية الأخرى وأسبقيتها .. ومنها أيضا  
أن التدوين والتسجيل فى هذا العصر لم يكونا على الشكل الذى يرصد ويفيد  
هذا اللون بعكس القصيدة التى كان الرواة يحفظونها من فم صاحبها  
ويرددونها بالسليقة على امتداد الجزيرة العربية .

وبالرغم من هذا كله فإن القصص الغرامية كانت فى العصر الجاهلى  
حقيقة ثابتة من حقائق العصر الأدبية .. مثلت واحدة من أجناس  
الأدب .. بل نظر مؤرخو الأدب إليها بأكثر مما نظروا مثلاً إلى الأساطير



والأمثال والأوابد والأيام .. والأخبار وغيرها .  
 وقصة المرقش الأصغر واحدة من تلك القصص التي لم تهملها كتب  
 الأدب العربي .. وتكاد تجمع على تفاصيلها وأشعارها بلا خلاف كثير .  
 وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .. وهو ابن أخي  
 المرقش الأكبر صاحب أسماء .. وهم عم طرفة بن العبد .. وأشعر  
 المرقشين وأطولهما عمرا .. وأحد العشاق المشهورين وفرسانهم المعدودين .  
 وحينما يكون العاشق شاعراً .. تضيع أخباره من خلال شعره .. فإذا  
 جمع إلى الشعر الفروسية .. اكتملت حلقات الشهرة .. والفتوة  
 العربية .. ليحارب بالكلمة والسيف .. ويقدره المجتمع بأكثر من كونه  
 شاعراً فحسب .

وقد كان للمرقش الأصغر صولات وجولات في بكر بن وائل وحروبها مع  
 تغلب ويصفه معاصروه بأنه كان من أجمل الناس وجهاً .. وكان شجاعاً  
 فتياً .

وقصة المرقش الأصغر هي قصة الفارس العاشق .. حيث تحولت  
 فروسيته من ميدان القتال إلى فروسية العاطفة الصافية .. حيث تتلون  
 بالثرثاء النفسى .. ومعاقبة الذات والنوح والدموع والندم جميعاً .  
 وتبدأ القصة حينما وقعت عيناه على هند بنت العجلان جارية فاطمة بنت  
 المنذر .. فأعجبته .. وتعلق بها قلبه .

وكان المرقش راعياً لا يفارق إبله .. وكان يقيم عند الماء ويترك إبله  
 ظمأى .. وينطلق إلى بنت العجلان فيقضى عندها ما يشاء من الوقت ..  
 ويعود والشعر على فمه ينثال سهلاً ليناً معبراً صادقاً .

أمن رسم دار ماء عينيك يَسْفَحُ	غدا من مُقام أهله .. وتروحوا
أمن بنت عجلان الخيال المطرَحُ	ألم .. ورخلى ساقط متزحزح
بأطيب من فيها .. إذا جئت طارقاً	من الليل .. بل فوها ألد .. وأنصح



ويظل زمناً يعشق هنداً . . ويقول الشعر ويتناقله الرواة هنا وهناك .

## ٢

وكان من الممكن أن تستمر الأحداث هكذا سهلة رخيّة بلا صعاب بين الحبيبين . . فالمرقش الأصغر شاعر فارس مرموق في قبيلته . . وهند جارية لا طائل منها ولا خوف على السادة من عشقها للمرقش . لكن أمراً ما حدث . . حول مجرى القصة .

فقد كانت فاطمة بنت المنذر تجلس فوق قصرها ( بكازمة ) فتنظر إلى الناس . . وكان على هذا القصر حرس شديد لا يسمحون لأحد بالدخول أو الاقتراب من القصر إلا هند بنت العجلان .

ولاحظت فاطمة أن فتى جميلاً دخل عند هند فبات ليلته حتى الصباح . . فأرادت أن تتقصى الأمر من هند في الصباح .

وجاءتها هند وعليها أثر من الإرهاق . . وتجردت أمام مولاتها . . فلاحظت أثاراً فوق فخذيها كأنها آثار سياط . . فسألتها : ما هذا يا هند . . فأجابت : إنها آثار رجل بات معي الليلة . . من شدة حفزه إياي عند الجماع .

قالت فاطمة : أهو هذا الفتى الجميل الذي دخل بيتك عشية أمس . قالت : نعم ياسيدي . . قعد عن إبله وكان يرعاها . . وبات عندي . قالت فاطمة : أقول لك شيئاً تختبرين به وفاءه ورجولته . . إذا جاءك غداً . . فقدمي له مجمرأ واطلبي منه أن يجلس عليه . . وأعطيهِ سواكاً . . فإن استاك به أو رده فلا خير فيه . . وإن قعد على المجمر أو رده فلا خير فيه .

فجاءها المرقش في الغد . . وأتت له بالمجمر وقالت له : اقعد عليه . . فأبى .





وقال : قريبه منى .. فدخن لحيته وأبى أن يقعد عليه .. وأخذ السواك  
فقطع رأسه واستاك به !  
ثم أسرع هند إلى فاطمة تخبرها بما جرى .. فازدادت به شغفا  
وقالت : اثنيى به فى الغد .. واحتالى فى ادخاله على .  
كان ابن المنذر قد رصد حرس القصر حتى لا يدخل على ابنته فاطمة  
رجل غريب .. وكان يرسل فى صباح كل يوم من ينظر فى أثر من دخل  
إليها .. ويعود إلى الملك قائلاً : لم أر إلا أثر بنت العجلان .. فيطمئن !  
ماذا تفعل بنت العجلان فى رغبة مولاتها فاطمة .. وكيف تدخل عليها  
المرقش الأصغر .. لابد أن آثار أقدامه تختلف عن آثار قدميها .  
وتمكنت أخيراً من الوصول إلى حيلة ذكية .. لا ينتبه إليها الحرس  
ولا خبراء الأثر .

ويظل المرقش فى اليوم التالى يرعى إبله .. ويضحك مع أصدقائه ..  
وكان بينهم صاحب أثر يقال له : عمرو بن مالك شديد الشبه به لا يفترق  
عنه إلا بغزارة شعر جسده .. وكانا قد تعاهدا على ألا يكذب أحدهما على  
الآخر .. ولا يخفى أحدهما عن الآخر شيئاً .

### ٣

ويجىء موعده مع هند .. فيترك إبله وأصحابه إلى بيت هند .. فتخبره  
أن مولاتها تدعوه إلى بيتها الليلة .  
فاطمة بنت المنذر تدعو المرقش .. وحببته هند هى الواسطة .. وهى  
تفعل ذلك راضية ومتساعجة .  
وتشور فى داخل المرقش أفكار متضاربة .. تنتهى أخيراً إلى فرحة داخلية  
بلقاء فاطمة .. تلك التى لا يدخل إليها أحد .. لكن كيف !



لقد حملت بنت العجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب ..  
وأدخلته إلى فاطمة ليبست عندها .. ويظل طوال الليل كأنه في حلم جميل .  
وتحملة بنت العجلان في الصباح إلى خارج القصر .. ويبعث الملك  
كعاداته من ينظر في آثار الداخلين إلى ابنته فاطمة .. ويعودون إليه قائلين :  
— لقد نظرنا أثر بنت العجلان وهي مثقلة .

أى أن أقدامها قد انغرزت كثيراً في الرمل .. لثقل جسمها .  
ويضحك الملك .. غير عابء بهذا الأمر المختلف .. وأخذ الحاشية  
يسخرون : ربما حملت من وراء ظهورنا .. أوروبما كانت تحمل شيئاً ثقيلاً  
إلى سيدتها .

ويظل المرقش يذهب إلى فاطمة كل ليلة عن طريق بنت العجلان فيبيت  
عندها حتى الصباح .. حتى علق كل منهما بالآخر .. وهاما عشقا  
وجنونا .

ويسأله صديقه يوماً ما الذى تفعله ياربعة .. ألم نتعاهد عهداً ألا  
تكتمنى شيئاً .. ولا أكتمك .. ولا نتكاذب ؟

وحاول المرقش أن يراوغ صديقه .. لكن ما بينهما من عهد جعله يقص  
عليه الخبر .. وصاحبه يسمع فى دهشة وإثارة .

ثم قال له عمرو بن مالك : بحق ما بيننا من صداقة .. لن أرضى عنك  
ولن أكلمك أبداً حتى تدخلنى على فاطمة .. فأنا أشبه رجل بك .. ولن  
تفطن لشيء يختلف لدى عنك .. وحلف على أن يكون هذا سراً بينهما  
لا يبوح به .

ولم يكن أمام المرقش إلا الوفاء بالعهد .. والإجابة لرغبة صديقه  
عمرو .. فانطلق به إلى المكان الذى كان يواعد فيه بنت العجلان فأجلس  
صديقه وانصرف .. وأخبره كيف يتصرف .. وكانا متشابهين بصورة  
شديدة التماثل .

وجاءت بنت العجلان فحملته كما تحمل مرقش .. وأدخلته على فاطمة



وصنع ما أمره به المرقش .. فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذه  
فاستنكرته .. فإذا به يرعد .. فدفعته بقدمها في صدره وقالت :  
— قبح الله سرّاً عند المعيدى !

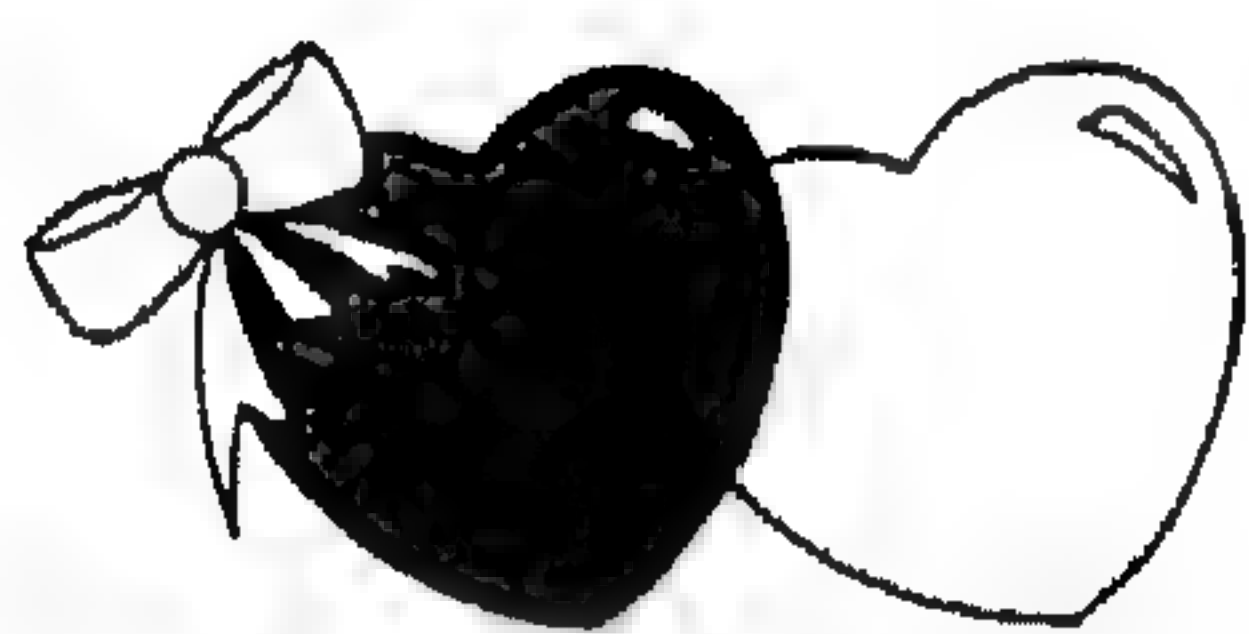
ودعت فاطمة بنت عجلان فذهبت به خارج قصرها .. وانطلق إلى  
حيث يوجد المرقش .. وأدرك المرقش من هيئة صاحبه أن أمره قد افتضح  
فعض إبهامه فقطعها .. وانطلق إلى أهله هائماً على وجهه تاركاً إبله حياء مما  
صنع .. ولسان حاله يقول نذماً وحسرة :

وإني لأستحيي فطيمة جائعاً خيصاً وأستحيي فطيمة طاعماً  
وإني وإن كنت قلوصي لراجم بها وبنفسى يا فطيم المراجما  
وهى قصيدة طويلة اشتهر بها يصور فيها وفاءه لفاطمة ويبين ما أصاب  
قلبه يوم الفراق ليستكمل المشهد بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها  
المختلفة .. ثم يصف ذكرياته معها .. ثم يستعيد مشهد الرحيل والندم .  
وهو يصف فاطمة فيخلع عليها صفة الكمال .. شأن الشعراء العذريين  
فيما بعد الذين يرون في معشوقاتهم كل شيء كامل وناضج وحسن .  
وتحت وطأة التشاؤم والشعور بالندم والحيرة والإخفاق .. يستصرخ  
فاطمة الصفح .. وهو لا يكاد يصفح عن نفسه هو .. ويثقل على نفسه  
معاقب ذاته أن باح بسر له لصاحبه .

١

إن قصة المرقش الأصغر قصة فريدة في بابها وفي عصرها .. وتؤكد معنى  
مهماً من معاني العشق .. فمهما باح العاشق بأسراره .. فإن هناك منطقة  
من الأسرار لا يجوز له أن يبوح بها .. إنها تلك المنطقة الخاصة التي يعرف  
هو وحبيبته تفاصيلها الدقيقة وألوانها .. وملاحظها .. ولا يعرفها غيرها ..  
ومهما بلغت الصداقة بين الأصدقاء .. فهي لا تسمح بهذا البوح الذي  
يلقى بالعاطفة في بثر الندم والإخفاق .

وتبقى قصة المرقش الأصغر مثلاً حياً على عقاب الذات والندم .



يزيد بن الطثرية  
عاشق اليمامة







أحبك أطراف النهار بشاشة  
وبالليل يدعوني الهوى فأجيب  
لئن أصبحت ريح المودة بيننا  
شمالا لقدما كنت وهى جنوب

يزيد

اهتم مؤرخو الأدب بهؤلاء العشاق الذين عاشوا في بادية الحجاز ..  
باعتبار أن هذه المنطقة أكثر ثراء في أحداثها وتاريخها .. على حين أهملوا  
كثيرا أحداث المناطق الأخرى .  
وقصتنا هذه لم تذكر كثيرا لأنها حدثت في بادية اليمامة .. تلك المناطق  
المهملة في تاريخ العرب .. لكننا هنا نتجرد من شهرة المناطق والبوادي ..  
محاولين اكتشاف ما تحت القشور من ثراء وعطاء .. أما اليمامة فيحكى عنها  
القزويني في كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » قائلا :  
« انها ناحية بين الحجاز واليمن أحسن بلاد الله وأكثرها خيرا ونخلا  
وشجرا وكانت قديما منازل طسم وجديس ..  
وينسب اليها زرقاء اليمامة التي كانت ترى من مسيرة يوم وليلة والتي  
أنقذت قومها من خيل حمير ..  
كما ينسب اليها مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في صدر الاسلام !  
وكعادة أهل البادية كانوا يختلفون ويتصارعون حول مناطق الكلاء  
والرعى .. ثم يتصاعد الصراع ليشمل الأرض والحسب والنسب .. وتكثر  
الثارات والعداوات .. وكان هذا شأن قومي قشير وجزم في بادية  
اليمامة .



وكان صاحبنا يزيد بن الصمة من قشير ، والطثرية أمه ، وهى امرأة من  
طثر أحد أحياء اليمن أو من عترة بن وائل اخوة بكر . . وكانت الطثرية  
مولعة بإخراج زبد اللبن . . فسميت بالطثرية . . وطثرة اللبن أى  
زبدته .

ويكنى يزيد أبا المكشوح فقد كان على كشحه « خاصرته » كى نار . .  
وكان يلقب بالموثق . . لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه خاصة فى  
أذان النساء .

ومر زمان على قشير وجرم فى بلاء وحرب وصراع . . يتربص كل فريق  
بالآخر ويغيظ كل منها الآخر فى الغزل بنسائه . . وأنشاء الأشعار للنيل  
منه . . يتقاتلون على المرعى والأرض . . حتى فقد الناس الأمن . . والحياة  
الهائثة . . وتمسك السماء ماءها . . وتضن الأرض بخيراتها . . حتى أحمل  
الناس وجف الزرع والضرع . . ونفد المال من الأيدى . . واشتد  
الجوع . . وأجذبت الأرض وأشرف الناس على الهلاك . . فانطلق الناس  
يضرّبون فى البادية بحثا عن الرزق . .

وتسامع الناس أن السماء قد جادت على قشير . . فلم تجد جرم مفرا من  
اللجوء إلى قشير متناسين ما بينها من ثارات وعداوات . . وينطلق بعض  
السادة من جرم إلى سادة قشير . . ويتحدث كبيرهم :

— لقد جئنا اليكم مستجيرين غير محاربين ولا متصارعين . .  
قالت قشير :

— من أى شىء تستجيرون . .

قالت جرم : من الجذب والهلكة التى لم تبق لنا خيرا قط . .  
وهنا يتغلب الخلق العربى . . ويتناسى الناس عداوات الماضى . . وتجير  
قشير جرما وتسالمهم . . وتمنحهم جانبا من أرضها الخصبة . . ويختلط  
القومان . . ويتسامران . . ويتقاربان . . ويتلاقى الشعراء . .  
بالشعراء . . والسادة بالسادة . . والكثوس بالكثوس .



كان في جرم فتى يقال له مَيَّاد .. وكان مشهورا بتغزله .. وكان حسن  
الوجه .. فارغ القامة .. يأخذ بقلوب النساء .

وقد هيَّأ له القرب بين القومين .. أن يذهب إلى القشيرات يطلب منهن  
الغزل والصبا والحديث .. في غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعى ،  
وكان الغزل جائزا حسنا في جرم .. ومكروها في قشير ..

ولكن القشيرات كن من العزة والأنفة .. فدفعنه عنهن وأسمعنه  
ما يكره .. ورفضن أن يجبنه على غزله .  
ويعرف رجال قشير ذلك من نسائهم الغاضبات . بل قالت عجائز  
منهن :

والله لا ندرى أرعيتم جرما الرعى .. أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد  
ذلك على رجال قشير .. حينما عرفوا بحقيقة ما يفعله مَيَّاد .. وتجمع قشير  
للتشاور في الأمر :

فقال بعضهم : عليكم أن تستأصلوا جرما من أرضنا .  
وقال آخرون : قبيح والله قوم قد سقيتموهم مياهكم .. وأرعيتموهم  
مراعيكم .. وخلطتموهم بأنفسكم .. وأجرتموهم .. من القحط .. أن  
تفعلوا معهم ذلك .. وما هذا الرجل إلا سفيه من سفهائهم ..  
فليأخذواهم على يديه .. فإن فعلوا .. كفونا المشقة .. وان امتنعوا وأقروا  
ما كان منه .. يحل لكن ما تنوون عليه . ان امتنعوا وأقروا ما كان منه ..  
يحل لكن ما تنوون عليه .. ولا جناح عليكم لو تستأصلونهم .. ولا تقي  
هذا الرأي صدى طيبا عند الجميع .. فما أن أصبحرا حتى ذهب بعضهم  
إلى جرم .. واجتمعوا بهم ..

قالت قشير :

— تعلمون أن الغزل لدينا مكروه .. وهو بدعة جئتم بها إلينا .. فإن  
كانت سجية لكم فليس لكم لدينا ارضاء ولا اسقاء .. وعليكم الرحيل



أو تحاربكم .. وإن كان افتتاناً فانكروا على من فعله وازجروه .  
 قالت رجال من جرم :  
 — ماذا تقصدون .. وماذا حدث لكم ؟  
 قالوا : رجل منكم ظل يجر أذياله بين بيوتنا .. ولا ندري ما يريد ..  
 وهنا فهقته جرم وسخرت من جفاء قشير وعجرفتها ثم قالت :  
 — لعلكم تحسون من نساكم ببلاء .. فهل لكم أن تبعثوا إلى بيوتنا  
 رجلاً ورجلاً ..  
 قالت قشير :  
 — والله ما نحس من بيوتنا إلا العفة والكرم .. وما البلاء إلا فيكم  
 أنتم .

وتأزم الموقف بين الطرفين .  
 فقالت جرم إذن نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قشير .. إذا غدت  
 الرجال وخلفوا النساء .. وتبعثون رجلاً إلى بيوتنا .. ونتحالف ألا يتقدم  
 رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ويخبرها بشيء .. لكي يظل ما نتفق  
 عليه سرا !

ونلتقى في العشية .. وقد أتى كل رجل بدليل أو علامة ممن كانت  
 معه .. وهكذا شأن العرب ثور العلاوات على أقل الأسباب .. ومن قبل  
 كانت حرب البسوس .. وحرب داحس الغبراء .. بلا سبب معقول ..  
 فماذا حدث في هذا الرهان الغريب ..

رجل من جرم يدخل إلى نساء قشير .. ورجل من قشير يدخل إلى نساء  
 جرم .. ومن ينجح منهما في إعطاء الدليل والحجة فقد نجح في جرح عفة  
 النساء وكرمه .

لقد وافق الجميع على هذا الرهان .. وتحالفوا على ما اتفقوا عليه . فلم  
 يخبر رجل زوجة ولا أخت ولا بنتاً بما حدث .. بل تحالفوا على ألا يعودوا إلى





البيوت قبل العشية .

ويختار قوم جرم ميادا . . ليذهب إلى القشيرات مرة أخرى . . ويختار  
القشيرات يزيد بن الطثرية ليذهب إلى جرم . . فماذا كانت النتيجة . .  
تتوقف الأحداث لدى القومين ساعات النهار . . وكل الناس يتوقعون  
ويتوهمون . . حتى جاء الليل .

أما مياد الجرمي فقد غدا إلى القشريات . . وظل يدور بين البيوت لعل  
واحدة من نسائهم تستجيب .

وظل مرجوعا مقصيا لا يقترب من بيت إلا استقبله النساء بالحجارة  
وقطع الحديد . . وهو سعيد بما يفعلن يظن أنهن بهذا يطلبنه . . حتى  
أجهدته العطش والتعب فانصرف حتى جاء إحدى الأشجار في منتصف النهار  
فتوسد يده ونام في ظلها حتى بعد الظهيرة .

ويستيقظ مياد بعد أن أخذ راحته . . وسكن بعض مافيه من ألم الضرب  
والعطش . . ثم اقترب إلى ماء فعب منه ما شاء .

وأسرع مياد إلى القوم . . لعله يصل قبل يزيد . . فوجد أمة ترعى  
غنا . . فأخذ برقعها . . وانطلق إلى القوم . . وصاح فيهم :

— هذا برقع واحدة من نسائكم يا بني قشير . .

طرح البرقع بين أيديهم . . فأدركته الأمة صارخة وتعلقت ببرقعها  
واستردته . . فخجل مياد من فعلته خجلا شديدا . .

.....

هذا ما كان من أمر مياد مع القشريات . .

أما ما كان من أمر يزيد مع جرم . . فقد غدا إلى الجرميات وكان حسن  
الوجه رقيق الحاشية . . فاستقبلته الجرميات بأكرم استقبال . . لا يصير إلى  
واحدة منهن إلا افتتنت به أخرى وتابعته وطلبتة إلى بيتها ومنحته دليلا على  
أن يعدها ألا يدخل إلى غيرها . . فيقول لها :

— وأى شيء تخافين وقد عاهدتك وليس لأحد غيرك في قلبي من





نصيب .. وظل يزيد على حاله تلك حتى ما بعد العصر .. وقد جمع من  
القشريات براقع وأساور وأقساطا وغيرها ثم قصد القوم وهو شبعان مدهونا  
مكحولا مرجل الشعر واللثة .

ويصل يزيد إلى القوم وقد غرق مياد في خجله وخيبته .. وكاد القوم أن  
ينصرفوا فنثر بين أيديهم البراقع والأساور والأمشاط وغيرها .. وقد حلف  
القوم ألا يعرف رجل شيئا لامرأته إلا التقطه .

واسودت وجوه جرم .. وأمسكوا أيديهم عن مدها إلى شيء .. لكن  
قشير قالت :

— ان بيننا عهدا وميثاق .. فمن شاء أن يخلف عهده فليمسك يده .  
وهنا بسط كل رجل يده إلى ما عرفه من الأشياء والتقطه خجلا .. لكنهم  
تفرقوا على عداوة وحرب .. قائلين :

— هذه مكيدة يا قشير ..

فقال يزيد بن الطثرية في ذلك :

فإن شئت يا مياد زرنا وزرتم      ولم تنفس الدنيا على من يصيبها  
أيذهب مياد بالباب نسوت      ونسوة مياد صحيح قلوبها

وكانت سخرية صريحة من يزيد حاول مياد أن يرد عليها قائلا :  
لعمرك إن جمع بني قشير      لجرم في يزيد لظالمونا  
أليس الظلم أن أباك منا      وأنك في كتيبة آخرينا  
أحالفه عليك بني قشير      يمين الصبر أم متخرجونا

وانصرف القومان على حرب .. وثارات .. وعداوات .. واتصلت  
الأشعار من الطرفين تعاود رسالتها .. وتدافع عن قومها .. وتهجو القبيلة  
الأخرى .. زمانا طويلا .



لكن شيئا ما هبط بيزيد .. أبعده عن هذه الحروب وأشعارها وجعله يغير  
مجرى أشعاره !

كان يزيد وهو يمارس رهان قومه .. ينتقل من امرأة إلى أخرى من  
الجرميات .. حتى بلى بعشق جارية من جرم في ذلك اليوم يقال لها :  
وحشية وكانت من أجمل النساء وأحسنهن .

لكن وما حدث بين قشير وجرم حال دون ذلك التوصل الذي تاق اليه  
يزيد .. وحاول يزيد أن يصل وحشية .. لكنه لم يستطع .  
ويبلغ به الشوق والعشق مدى كبيرا .. حتى أشرف على الموت واشتد به  
الجهد .. ولم يجد أمامه إلا ابن عمه خليفة بن بوزل يشكو اليه ما وصل اليه  
فدخل عليه وقال :

— يا ابن عمى .. لقد عشقت وحشية .. وأصابني سهمها في  
مقتل .. وتعلم أنى ليس لي اليها من سبيل .  
قال له : أعلم هذا يا ابن عمى .. وأرى أن التعزى أجمل .. وليس  
من العقل أن تقتل نفسك .. وتأثم بربك .  
قال يزيد :

— ليس لي مطمع في الحياة إلا وحشية .. فإن كنت تريد لي الحياة  
فاجعلنى أراها .  
قال خليفة :

— وما العمل يا يزيد .. وكيف الحيلة .  
قال يزيد : تحملنى اليها يا ابن عمى .  
فحملة خليفة .. وأوهمه أنه ذاهب إلى وحشية .. فقد كان من الصعب  
أن يصل اليها في قومها ..

ويذهب عقل يزيد .. ويغيب عن وعيه كثيرا .. فيذكرون له وحشية



فيفيق على اسمها .. ويتخلله الأمل في لقائها .. ثم ما يلبث أن يشتد به  
الوجع ويصيبه اليأس .

وظلا على تلك الحال من قوم إلى قوم .. حتى بلغا بعد زمن طويل حى  
وحشية .. وهناك لقيا رعاة الحى .. وأخذوا يتقصيان .. ويسألان عن راعى  
وحشية .

ويلقى خليفة غلام وحشية وغنمها .. ويقوده إلى يزيد .. ويسأله  
يزيد :

ما حال وحشية ؟

فيرد غلامها : هى والله ليست بخير .. لا حفظ الله بنى قشير ولا بارك  
الله يوم رأيناهم .. انها والله عليلة منذ رأيناهم .

فقال خليفة : ويحك يا أخى .. ان هنا رجلا يستطيع أن يداويها  
فأخبرها بهذا ولا تخبر أحدا غيرها .. ووعدهم الراعى أن يفكر ..

حتى إذا جن الليل .. انحدر الراعى بغنمه حتى استقرت فى منامها ..  
وصحب يزيد إلى حيث توجد الشياه .. حيث توجد الشياه .. وأعطاه

الراعى فروة شاة سوداء فلبسها يزيد وسار على أربع إلى حيث توجد  
وحشية .. وكأنه إحدى الشياه ..

وكان لقاء من العشق المجنون بين وحشية ويزيد .. سرت به سرورا  
شديدا .. وأدخلته سترا لها .. وجمعت عليه فى الصباح من ثقب به من  
صويجاتها وأترابها .

وكان يزيد وخليفة قد تعاهدا على أن يذهب يزيد إلى وحشية ويظل  
خليفة فى الجبل البعيد ثلاث ليال .. فإن لم يعد يزيد ينصرف خليفة تاركا  
اياهم عند وحشية .

ويقيم يزيد ثلاث ليال عند وحشية .. يعود فيها إلى كامل عافيته ثم  
انصرف من عندها إلى حيث يوجد ابن عمه .. فلقيه وهو سعيد بما أصبح  
عليه من العافية والسرور .. وطيب النفس .. ويسأله ابن عمه :



ما أخبارك يا يزيد :

يجيب يزيد :

لو انك شاهدت الصبا يا ابن بوزل  
لشاهدت لها بعد شحط من النوى  
ويوما كإيهام القطاة مزينا  
بنفسى من لو مر برد بنانه  
ومن هابنى فى كل أمر وهبته  
بفرع الفضى إذ راجعتنى غياطله  
على سخط الأعداء حلو شمائله  
لعينى ضحاه .. غالبا لى باطله  
على كبدى كانت شفاء أنامله  
فلا هو يعطينى ولا أنا سائلة

ويظل يزيد يعيش على تلك الليالى الجميلة التى قضاها مع وحشية ..  
وكلما اشتاق اليها أكثر .. احتال على رؤيتها ووصلها .. أو أرسل اليها  
بأشعاره ..

أحبك أطراف النهار بشاشة  
لئن أصبحت ريح المودة بيننا  
وبالليل يدعوني الهوى فأجيب  
شمالا لقدما كنت وهى جنوب

وكانت وحشية تجيبه بقولها :

أحبك حب اليأس إن نفع الحيا  
وإن لم يكن لى من هواك طيب

ويعيش يزيد فى ظل هذا العشق المجنون لا يميل إلى الحروب  
والبغضاء .. ولكنه يخترق هذه الظلمة الكثيفة بهذا الضوء الساطع من  
الصدق والشعر والجنون والوفاء لوحشية ..

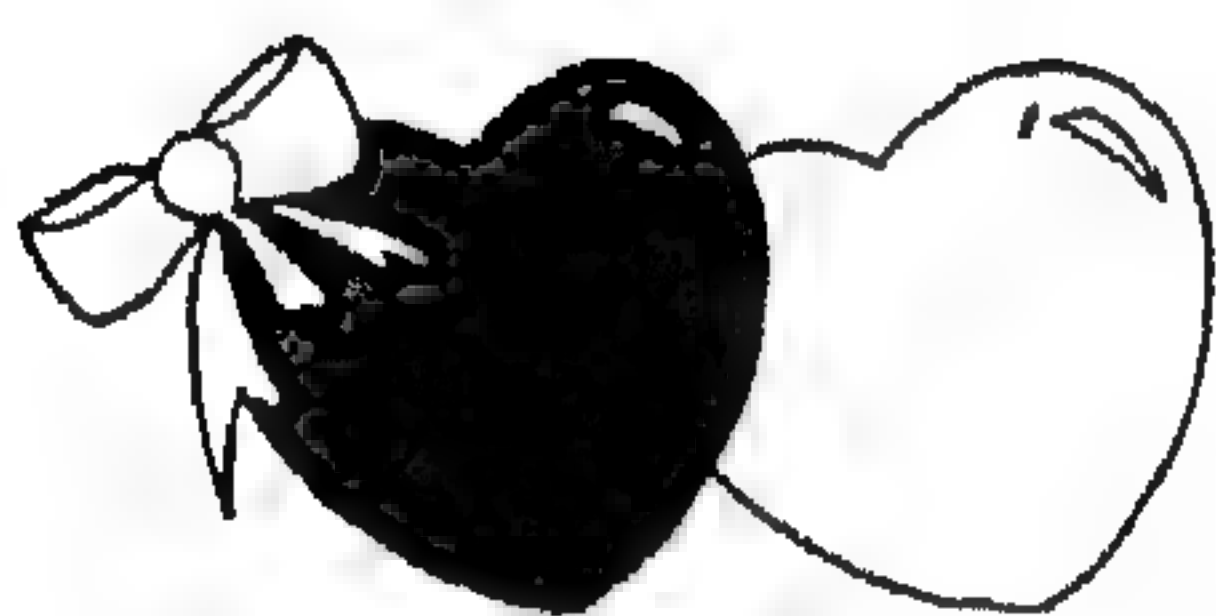
والقصة على ما يبدو فيها من طرافة وعذوبة .. تروى بأكثر من رواية  
وفيه من المتناقضات ما يجعل حدوثها أمرا غير منطقي .. وإن دلت على  
طبيعة الحياة البدوية .. وعلى ألوان العيش التى يعيشها البدوى .. وعلى



تلك العلاقات بين الرجال والنساء التي تصل إلى درجة الاختلاط . . بل  
 الرهان على شرف النساء .  
 وفي الوقت نفسه . . تضع العداوة بين القبيلتين لمجرد اللجوء إلى القبيلة  
 التي يكثر فيها الخير والخصب .  
 أما ما كان من عشق يزيد . . فقد نجده يختلف عن مجانين العذريين  
 أو المتيمين لأنه يصل إلى معشوقته - ولو عن طريق الحيلة - أما هم فإن  
 جنونهم كان نتيجة عدم تحقيق هذا التواصل .  
 ومع كل هذا فهي نموذج لأحدى قصص العشق الجاهلية التي لا يلتفت  
 إليها المؤرخون كثيرا بالرغم من طرافتها واختلافها .







المخبُّبِل وميلاء





فلو أن أم العَمر أضحت مقيمةً  
 بمصر وجثمانى بِشحر عُمان  
 إذا لرجوت الله يجمع شملنا  
 فإننا على ما كان ملتقيان  
 المخبّل القيسى

في إطار ما نسوقه من قصص العشق .. نحاول قدر الاستطاعة أن نقدم  
 تلك القصص التي لا تتكرر كثيرا .. والتي تختلف ولو قليلا عن غيرها  
 قصد التنوع .. ومن هذه القصص تلك التي نرويها الآن لشاعر عاشق من  
 قيس يقال له : كعب ويلقب بالمخبّل القيسى .  
 وهو عبدالله بن أبي سعد الوراق .. وكان قد خطب ابنة عمه ودخل  
 بها .. وأنجب منها ولدا .  
 وكان لزوجته أخت أجمل منها وأكثر حسنا ورقة يقال لها ميلاء .. وذات  
 مساء .. خلا كعب بزوجته وكان شارد البال .. فسألته: ماذا بك يا أخى ؟  
 قال كعب : يا أم عمر .. هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسن  
 منك ؟

قالت زوجته وهي لا تلوى على شيء :  
 — نعم .. أختى ميلاء .. أحسن مني .. وأجمل !  
 قال كعب : أرانى أحب أن أنظر اليها ..  
 فقالت : ان هي أدركت قصدك .. لن تخرج إليك .. ولكن قف هنا  
 وراء الستر .  
 ففعل .. وأرسلت إلى أختها فجاءتها .. فلما نظر اليها كعب عشقها من  
 النظرة الأولى .. وصدق ما قيل عنها .



ومكث قليلا .. ثم خرج .. واعترض طريق ميلاء وهي عائدة إلى أهلها وصارحها بحبه لها .  
فقالت : والله يا ابن العم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه .

قال : إذن عديني باللقاء .. وأعدك بالعشق والشعر .  
وواعدته باللقاء .

وحدث أن فاجأتها أم عمرو وهما يجلسان في صفاء .. فمضت إلى إخوتها السبعة وأخبرتهم بخبر كعب وميلاء .  
 واجتمع أمر الإخوة على أن يستنكروا ما يحدث .  
وتصرخ أم عمرو : إما أن تزوجوا ميلاء كعبا .. وإما أن تكفوني أمرها .. ويوافق الإخوة على أن الأمر خطير .. ويبلغ ميلاء الخبر .  
أما كعب .. فحينما بلغه ذلك أسرع بالرحيل إلى الشام حياء من إخوة زوجته .. وكان يقطن الحجاز مع قومه .. فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب .. وفي ذلك يقول كعب :

أفى كل يوم أنت من لالعج الهوى	إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما	بها خرز أو طرفها متحازر
تمنى المنى حتى إذا قلت المنى	جرى واكف من دمعها متبادر

ويصل كعب إلى الشام .. ويهبط عند صديق له .. ويروى عنه ما يقول :

وكان هذا الصديق يتجه إلى الحجاز حيث أهل كعب .. فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء وهو لا يعرفهما .. وسألها عن الطريق إلى مكة ..  
فقالت أم عمرو :  
— يا ميلاء .. صفى له الطريق .



فتذكر الرجل شعر كعب حينما سمع اسم ميلاء .. فأنشده .. فأقبلت  
 عليه أم عمر وقالت : يا عبدالله .. من أين أتيت .  
 قال : أقبلت من الشام .  
 قالت : ولن هذا الشعر .  
 قال : لأعرابي بالشام يقال له كعب .  
 فأقسمت عليه لا يبرح حتى يرى اخوتها .. ويعرفوا ذلك .  
 فقال لها : اننى أروى عنه شعرا آخر يا سيدتى .  
 فسألته أن يسمعها ما يحفظ فقال :

من الناس إنسانان ديني عليهما	مليان لولا الناس قد قضيانى
نخيلى أما أم عمرو فمنها	وأما عن الأخرى فلا تسلانى
بلينا بهجران ولم أر مثلنا	من الناس إنسانين يهجران
أشد مصافة وأبعد عن قلى	وأعصى لواش حين يكتفیان
تحدث طرفانا بما فى صدورنا	إذا برمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى	على ما بنا .. أونحن مبتليان
فلا تعجبا بما بى اليوم من هوى	فبى كل يوم مثل ما تريان

ويلتقى الرجل باخوة أم عمرو .. وكانوا قلقين على مصير كعب فهو  
 أيضا ابن عمهم .. وكان كعب أظرفهم وأشعرهم .. فأكرموا الرجل  
 وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق إلى مكة ..  
 ورحل الإخوة إلى حيث يكون كعب بالشام .. لكن حدث شيء عكر  
 صفو الرحلة .. لقد اقتربوا من نبع ماء يشربون .. وكان كعب أيضا  
 يزاحم على الماء .. فزحه غلام منهم فقال له كعب : ويحك يا غلام .. من  
 أبوك !

فقال : رجل يقال له كعب .



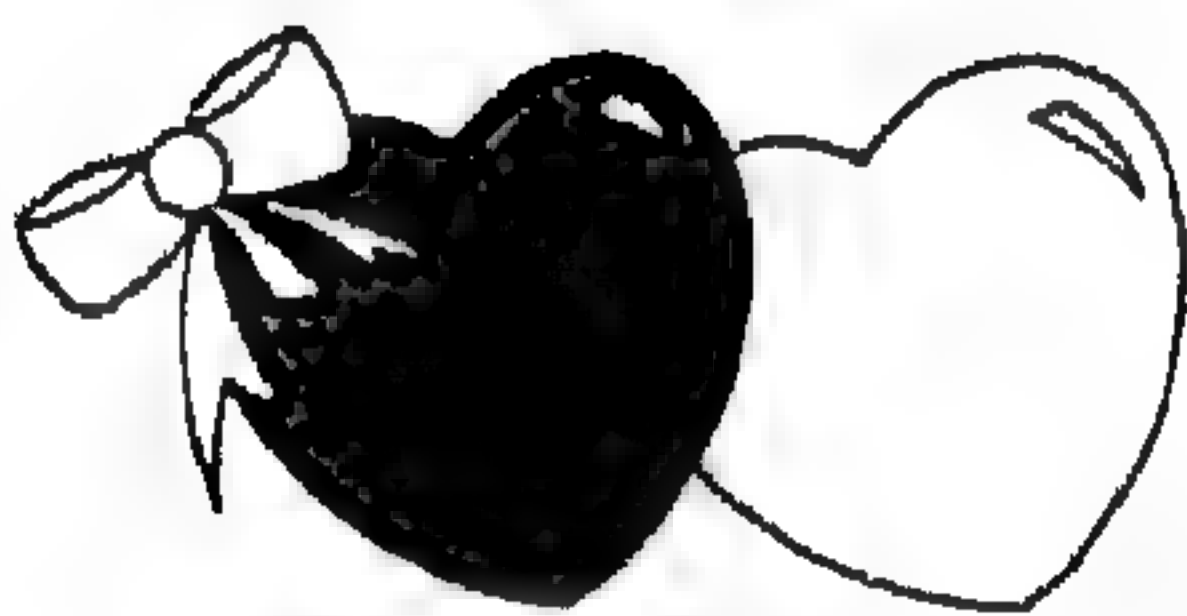


قال : وعلى أى شىء يجتمع الناس هناك .  
 قال اجتمعوا على خالتي .  
 قال وما قصتها .  
 قال الغلام : ماتت .  
 فأدرك كعب أن هذا ولده .. وأن خالته هى ميلاء .. فزفر زفرة مات  
 منها مكانه .  
 ويقبل عليه الاخوة .. فيدفنونه معها فى قبرين متجاورين ..  
 ويلتف بعض القوم .. ليعرفوا قصة هذا العاشق الهارب .. وكانوا قد  
 رووا عنه أشعارا كثيرة منها :

أحقا عباد الله أن لست ماشيا	بمרחاب حتى يحشر الثقلان
ولا لاهيا يوما إلى الليل كله	بيض لطيفات الخصور روائى
فلو أن أم العمر أضحت مقيمة	بمصر وجثمانى بشحر عمان
إذا لرجوت الله يجمع شملنا	فإننا على ما كان ملتقيان

هذه هى قصة عاشق هارب من عاطفتين صادقيتين .. زوجته أم  
 ولده .. وأختها الحسناء ميلاء .  
 وإنها والله لتضيف ملمحا مختلفا إلى ساحة العشق المجنون .





ابن العجلان  
عاشق زوجته





فارقت هندا طائعا  
فندمت عند فراقها  
فالعين تذرف دمعة  
كالدر من مآقها  
ابن العجلان

١

ربما تختلف عاطفة الحب من حالة وجدانية إلى أخرى .. وربما تلتهب  
هذه العاطفة كلما كثرت وعظمت العقبات بين العاشقين .. وبالتالي يقل  
هذا الالتهاب كلما وجد العاشق معشوقته كيفما شاء .. دون جهد  
أو نصب .

والشعر حينها يكون لسان حال العاشق .. فإنه لا يكف عن ترجمة تلك  
الحال التي عليها العاشق .. ولا شك أنها تتغير من الصدد إلى اللقاء إلى  
الوداع إلى الهجر إلى العناق إلى الشقاق !

وقد ينتهي بعض المتفلسفين إلى أن العاشقين يظلان على عشقهما كلما  
كان كل منهما صعب المنال على الآخر .. حتى إذا انتهت هذه العاطفة  
بالزواج أخذت في الخفوت والخمود إلى أن تنطفئ .. وتظل الذكرى هي  
التي تضمن لهما حياة مستقرة .

وقصص العشق غالبا لا تنتهي بالزواج .. ولهذا فإنها قصص حافلة  
بالصدق والحنين والبكاء والأسى .. فتخرج ما يشعر به المحب داخله ..  
حتى يبلغ به درجة الجنون .



وقصتنا اليوم .. تخالف كل هذه الظنون .. حيث تحكى عشق زوج  
لزوجته .. وكيف أصبح متيا بها .. بالرغم مما أحاطتهما من القيود  
والصعاب .

وبطل هذه القصة هو عبدالله بن العجلان الأحب بن عامر بن فهد ..  
أحد الشعراء الجاهليين المقيمين .. بل هو أحد شهداء العشق العربي ..  
وكان عبدالله وحيد والديه .. والعرب كانت تدلل مثل هذا الوحيد  
ولهذا أقطعه أبوه كثيرا من الخير .. فتاه على أقرانه في نهد .  
وذات يوم مر على نهر غسان .. فرأى جمعا من بنات العرب يغتسلن في  
النهر . فنزل عن دابته .. وجلس على حافة النهر يملأ عينيه من هذا المشهد  
الجميل .

ولأن الشاعر بطبيعته متأمل .. فقد أخذ يتنقل يبصره وعقله بين هذه  
وتلك حتى وقعت عيناه على هند وهى تمشط شعرها وتسبله على بدنها .  
وتسمرت عيناه ليتأمل هذا الجمال الالهى .. الذى وهبها شفافية فى  
بياض جسمها .. وسوادا فى شعرها المنسدل .. وتمنى لحظتها لو كان رساما  
يصور هذا الجمال فى لوحة .. لكنه ظل يتأمل حتى أصابه الحب بسهمه ..  
فلم يستطع أن يفلت منه طوال حياته .  
وتخرج هند من الماء .. فتفاجأ بهذا الفتى وقد أقام حولها حصارا من  
العشق المباغت .

ويلتقيان .. ويتواعدان مرة .. ومرة .. ويشتد بهما العشق .. فينطلق  
عبدالله إلى أبى هند ليخطبها .

وكان عبدالله سيدا فى قومه « فهد » وابن سيد من ساداتها .. وكان أبوه  
أكثر بنى نهد مالا .. فلما تقدم إلى أبى هند أجيب وتزوج هنداً .. وأقيمت  
الليالى .. وذبحت الذبائح .. وسعد الفتى بفتاته .





٢

ولأن العرب ينظرون إلى أولادهم باعتبارهم خلفاء لهم في السيادة والمال .. فهم يتشائمون من المرأة العاقر .. ويدفعهم ذلك إما لتطليقها وإما إلى الزواج عليها .

وكانت هند عاقرا .. لا تلد .. ظلت مع عبدالله سنين سبعا أو ثمانيا لا ترزق بمولود .

ولم يكن عبدالله يقيم لهذا وزنا .. بل على العكس تماما كان يزداد بها عشقا وهياما .. وكان كلما حدثوه في ذلك تمسك أكثر بها وازاد بها ولها .. ولكن والده أصابه الأسى وطالب ولده أن يطلقها .. أرسل اليه يوما وبادره :

— يا ولدى أنت وحيدى .. وأملى فيك أن يكون لك ولد يرثك في مالك وحسبك ونسبك ..

قال عبدالله : يا أبى .. هذا أمر الله .. وحسى أنى أحيا هانئا مع هند ..

قال أبوه : إنها امرأة عاقرا يا ولدى .. وقد مكثت معها سنوات طوالا وهى لا تلد .. ومن حقتك أن تطلقها وتتزوج غيرها .

قال عبدالله فى حزم : لن أفعل هذا يا أبت .

هنا صاح أبوه بكل ما ملك من سلطة أبوية :

— إذا لم تفعل .. فهذا فراق بينى وبينك . لن أكلمك أبدا حتى تطلقها .. ولن أمنحك من مالى شيئا .. حتى تفعل .

قال عبدالله : لك ما تريد يا أبتى .. لكننى لن أطلقها .. ولن أجد فى بنات العرب من تعوضنى عنها .

كان عبدالله حاسما فى حوارهِ مع أبيه .. وكان يستند إلى هذا العشق الجارف الذى ربط بينه وبين زوجته . فأنجب لها هذه السنوات الثمانى من السعادة والهناء .



لكن أباه لم يسترح إلى ما انتهى إليه أمر ولده معه . . انه ينتظر الفرصة  
السانحة لإرغامه على ترك زوجته .  
لقد أرسل أبوه أعوانه في أثره . . يراقبونه . . ويعرفون متى يصحو ومتى  
ينام . . ومتى يسكر حتى الثمالة . . ومتى يفيق .  
ماذا يريد هذا الأب من ولده . . ولماذا يطبق عليه هذا الحصار . . لقد  
أحسَّ عبدالله بكل هذا وأحست هند . . لكنها تمحلا كل شيء وكان  
جنون العشق بينهما أقوى من كل حصار .

### ٣

ويوما كان الأب جالسا مع سادات قومه . . فدخل عليه من يبلغه أن  
ولده عبدالله قد سكر حتى الثمالة عند هند . .  
وعلى الفور أرسل إليه من يطلبه .  
لكن هنداً تتوجس من هذا الطلب . . فتبادر زوجها :  
— لا تذهب إلى أبيك يا عبدالله حتى تفيق . . فوالله قلبي يحدثني أنه  
لا يريد لك خيرا الساعة .  
قال لها عبدالله وهو في سكره :  
— ماذا يستطيع أن يفعل بي . هذا الرجل ؟  
قالت هند : لقد بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك  
فتطلقني . . فتم مكانك . . ولا تمض .  
وأخذته العزة . . والتحدى فعصاها وأبى أن يمكث في البيت . .  
فأقسمت عليه . . فأخذ يضحك ويضحك :  
— أتريدون أن يقولوا عني . . لقد خشى عبدالله أن يواجه أباه . .  
أتركييني يا امرأة . . لا أحب أن أكون ضعيفا خائرا أمام الناس . فتعلقت



هند بثوب عبدالله فضربها بمسواك كان في يده .. وألقاها أرضا . وكانت  
يدها فيها زعفران .. فأثر في ثوبه مكان يدها .. لكنه انطلق كالسهم إلى  
حيث أبوه ..

ويدخل عبدالله على أبيه .. فيجده بين سادة قومه وفتيان قبيلته ..  
ترحب به وأجلسه جانبه .. وهو لا يزال في سكره ..  
ثم أخذ يؤنبه ويلومه على حاله .. وأخذ القوم الحضور يلومونه كذلك  
ويناوشونه ..

قال أحدهم : ما شهدنا رجلا عشق زوجته كل هذا العشق وهي لا تأق  
له بما تقر به عينه من الولد .

وقال آخر : أي شغف هذا الذي تغرق فيه يا ابن العجلان .. أليست  
هند واحدة من بنات العرب .. لكنها امرأة ناقصة .

وقال ثالث : ما شهدنا رجلاً أضعف قلباً أمام امرأة مثلك .. أين أنت  
من الفتیان الذين لهم القلب الصخر .. والحزم القوى .

ولم يكن عبدالله يحير جواباً .. بل كان كلما حاول أن يرد .. بادره  
أحدهم بلوم جديد .. وبوخز يصل إلى عمق القلب .. حتى انتهى  
المجلس به إلى الموافقة على تطليقها .

وحتى تتم اللعبة .. انطلق به الفتیان ليلتها إلى الخلاء .. فأخذوا  
يتسامرون ويشربون حتى الصباح .

ويرسل الأب من يخبر هنداً في الصباح بأن زوجها قد طلقها وعليها أن  
تعود إلى بيت أبيها .





٤

ويعود عبدالله إلى نفسه .. ويفيق من هذا الكابوس اللعين .. لقد تم كل شيء كما أراد أبوه .. وقد فقد هندا إلى الأبد .. ماذا يفعل بهذه السنوات الماضية التي ملأته سعادة وحلما ووفاء ، لك الله يا عبدالله ! ولعن الله السكر . والعناد !

ماذا يبقى له ؟

لقد شعر عبدالله بجسامة الخطأ الذي ارتكبه في حق هند وفي حق نفسه أيضا .. لكن لا حيلة له ..

أخذ يأسف على ما فعل .. ويبكى :

ألا أبلغا هندا سلاما وأن نأت فقلبي بها مذ شطت الدار مدنف ولم أر هندا بعد موقف ساعة بأنعم في أهل الديار تطوَّف ويشرب كأسه حتى الثمالة لينشد مرة أخرى :

إلا إن هندا أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسا وأسهما

ويأتيه رفاقه لعلهم يسرون عنه كآبته وحزنه .. لكنه لا يكف عن الأسى والشعر :

أما هند فقد عادت إلى أبيها مقهورة يائسة .. فتلقاها أبوها .. وجفف دموعها .. وخفف عنها أساها وحزنها .. ثم قال لها :

— لا عليك يا هند .. سأزوجك بمن هو أفضل من ابن العجلان ! .. لك الله أيضا يا هند .. أى أسى حل بك بعد هذه السنوات السعيدة التي عشتها مع ابن العجلان ..

لم تمض أيام على عودة هند .. حتى خطبها رجل من بني ثُمير .. ذو حسب ونسب ومال يفضل ابن العجلان .. فزوجها أبوها منه .. وأقيمت الأفراح في بيت أبيها .. ثم رحلت هند مع زوجها إلى قومه بني



نمير .

٥

ويظل عبدالله بن العجلان سقيماً مشرداً بعد رحيل هند وزواجها من غيره . . ولم يكن يملك الاتصال بها لما كان بين هند - قبيلته - ونمير - قبيلة زوج هند من ثارات وعداوات وحروب .

وكثيراً ما كانت الصراعات تقوم بين القومين وتظل زمناً طويلاً يحرم فيه على أى القومين الاتصال بالآخر .

وحدث أن جمعت هند لبني نمير جمعاً فأغارت على طوائف منهم وفيهم بنو العجلان . . وبنو الوحيد . . وبنو قشير . . وغيرهم . . ويظل القتال معلناً ويظل الفتيان وقوداً في هذه الحرب لزمان طويل . . حتى انهزمت بنو نمير . . وغنمت بنو هند أموالهم . . وقتل في الحرب من قتل من الطرفين . .

وفي ذلك يقول ابن العجلان :

ألا أبلغ بني العجلان عني	فلا ينبيك بالحدثان غيري
بأننا قد قتلنا الخير قرطاً	وجلنا في سراة بني نمير
وأفلتنا بنوشكل رجلاً	حفاة يربثون على سُمير

وكان عبدالله قد أسر رجلاً من بني الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعدته الوحيدى بالوفاء له . . فلم يف . . فقال عبدالله :

وقالوا لن تنال الدهر فقراً	إذا شكرتك نعمتك الوحيد
فيا ندماً ندمت على رزام	ومخلعه كما خلع العتود

ويعرض على عبدالله فتيات الحى جميعاً فلم يقبل واحدة منهن . .





فلا يزال عشق هند يمتلك عليه قلبه ويصيبه بالجنون .  
وكان يرد على من يعرض عليه أية فتاة تعوضه عن هند :

فأرقت هنداً طائعا	فندمت عند فراقها
فالعين تدرى دمة	كالدّر من آماقها
متحلبا فوق الرداء	يجول من رفاقها
خود رداح طفلة	ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألدّ حديثها	وأسرّ عند عناقها

ثم يرفع صوته وكأنّ هذا تصغى إليه :

إن كنت ساقية ببز	لِ الأثم أو بحقاقها
فاسقى بنى فهد .. إذا	شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم كيف نلحقها	غداة لحاقها
بأسنة زرق صحننا	القوم .. حدّ رفاقها
حتى نرى قصد القنا	والبيض في أعناقها

ويبلغ هذا الشعر هذا فيتوقد قلبها جنونا .. ويشعل حنينا وولها ..  
لكن هل من لقاء بين عاشقين .. ينتمى كل منها إلى عداوة وحروب  
وبغضاء .. لقد كسبت هند حربا مع بنى نمر .. لكن بنى نمر لم تنس هذه  
الهزيمة .. فقد جمعت فرسانها مرة أخرى .. لكي ترد على هند هزيمة  
بهزيمة ..

وتعلم هند من زوجها ما عزم عليه القوم .. فأخذت تحدث نفسها :  
— كيف أرتضى هزيمة قومي بنى نهد .. صحيح أنني أنتمى الآن إلى  
بنى نمر قوم زوجى .. لكن في نهد أبى وأمى وأخوتى .. وأسرتى كلها .  
وتنهدت هند قليلا ثم أكملت :



— وفي همد كذلك عبدالله !!  
وتأملت الأمر .. وأخذت توازن بين كثير من الأمور .. وأخيرا  
استدعت غلاما فقيرا من بني نمر وقالت له :  
— هل لك في خمس عشرة ناقة على أن تفعل ما أمرك به ..  
ويفرح الغلام بهذا العطاء السخي .. ويسألها عن مطلبها فقالت :  
— تنطلق إلى قومي فتذرهم قبل أن يصلهم بنو نمر .  
ولم يتردد الغلام .. فهناك خمس عشرة ناقة في انتظاره ..  
ومنحته ناقة لزوجها يركبها .. وزودته تمرا ووطبا من لبن .. فركب  
الغلام وجد في السير .. حتى نفذ اللبن وأحس العطش ..  
ويصل الغلام إلى بني نمر وقد يبس لسانه من العطش .. فلما كلموه لم  
يستطع أن يجيبهم وأشار إلى لسانه .. فأمر خراش بن عبدالله بلبن وسمن  
دافئين .. وسقاه .. فابتل لسانه .. وتكلم قائلا :  
— أنا رسول هند إليكم .. أتيتكم لأندركم بقدم بني نمر محارين ..  
وتجتمع بنو نمر وتستعد للقاء بني نمر .. فلما اقتتلا انهزمت بنو نمر هزيمة  
ساحقة أنشد على أثرها ابن العجلان :

الم تأت هندا كيفما صنع قومها	بني عامر إذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم	وإنا نحبي أرضكم ونزورها
فقلنا إذا لا ننكل الدهر عنكم	بصم القنا اللائي الدماء نمرها
فدوقوا على ما كان من فرط إحنه	حلائبنا إذ غاب عنا نصيرها





٦

ويشتد السقم بعبدالله .. وتزداد نار العشق اشتعالا في قلبه .. يريد أن  
يذهب إلى حيث هند .. لكن تلك الإحن التي ثارت بين القومين تحرم هذا  
اللقاء .. بل تجعله مستحيلا .

لم يجد عبدالله مفرا من الخروج والمخاطرة .. فهو لا يجد في بقاءه بين  
قومه إلا السقم والموت .. ولو خرج .. فهو معرض أيضا للموت .. لكنه  
موت كموت الشهداء .. فليكن شهيد العشق .. شهيد هند .

غافل عبدالله أباه وقومه .. وخرج سرا مخاطرا بنفسه حتى أتى أرض بني  
نمير .. لا يرهب ما بينهم من الشر والبغضاء .

ويقصد خباء هند .. وقد أهلكه السفر .. وأخذ منه التعب كل  
مأخذ .. ويرى عبدالله هندا جالسة على الحوض .. وزوجها يسقى إبله  
بالقرب منها .. فلما نظر إليها .. ونظرت إليه .. رمى بنفسه عن بعيره ..  
وأقبل عليها كالمجنون الطائش .. فأقبلت هي أيضا عليه كالمجنونة  
الطائشة .. وعانق كل منهما الآخر .. وأخذا يبيكان وينشجان ويشهقان  
كثيرا وزوج هند ينظر إليهما في دهشة وعجب .. غير مصدق عينيه ..  
ويظل العاشقان في بحر دموعهما الدافئ حتى سقطا على وجهيهما بلا  
حراك .

ويسرع زوج هند .. لينظر ما انتهى إليه حالهما .. فوجدهما ميتين ..  
ويدفن العاشقان في قبر واحد .. بعد أن سطرا واحدة من قصص  
العشق .. كتب على بطليلها الموت عشقا .. وجنونا .





عبد الله بن علقمة  
وصاحبه حيش







وإن يقتلونى يا حُبَيْش فلم يَدَعِ  
هواك لهم منى سوى غُلَّةِ الصدرِ  
وأنتِ التى أخليتِ لَحْمى من دَمى  
وعظمى وأسبَلتِ الدُموعَ على نَحْرِى  
عبد الله بن علقمة

ربما وقع اختيارنا على هذه القصة لقدمها تاريخياً . . ولاختلاف فى تفاصيلها عن غيرها من القصص . . بالرغم من قيام عاطفة حب قوية بين بطلها .

أما رجلها العاشق . . فهو عبد الله بن علقمة . . وهو واحد من فتيان بنى عامر بن عبد مناة بن كنانة . . وأحد فرسانها .  
وتبدأ خيوط القصة منذ كان غلاماً على مشارف النضج . . دون المحتمل .

فقد سحب أمه مرة لتزور إحدى جاراتها . . وكانت لهذه الجارة بنت حسناء يقال لها حُبَيْشَة بنت حُبَيْش أحد بنى عامر كذلك . . وكانت فى مثل سنه .

وتدخل الأم بولدها على جارتها وابنتها حُبَيْشَة . . فيراها ابن علقمة . . فأعجبته ووقعت فى نفسه . . وظل طوال الوقت لا يرفع عنها عينيه .  
ويرى الفتى أن يعود إلى نفسه قليلاً . . فيترك أمه لدى جارتها وينصرف . . وتظل الأم فى ضيافة جارتها يومين .

ثم يذهب عبد الله ليرجع أمه من عند جارتها . . وهناك وجد حُبَيْشَة قد تزينت لأمر كان فى الحى . . فهام بها وازداد بها ولها . . وانصرف بأمه عائداً



تحت وابل من المطر .. لم يشعر بوخزه .. وفي ذلك يقول :

وما أدري بلى إني لأدري      أصوبُ القطر أحسن أم حُبَيْشُ  
حبيشةُ والذي خلق الهدابا      وما عن بعدها للصب عيش

ويتسلل إلى سمع أمه ما يقوله ولدها .. لكنها تعمدت أن تتغافل حتى  
وصلا إلى ربوة من الأرض .. وفوقها ظبي .. فقال :

يا أمتا أخبريني غيرَ كاذبةٍ      وما يريد مَسُولُ الحق بالكذبِ  
أَتلك أحسن أم ظبيُّ برايةٍ      لا بل حبيشةُ في عيني وفي أَرَبِ

ولم تستطع الأم أن تتغافل هذه المرة .. ولا بد لها أن تجيب ..  
لقد زجرته أمه وقالت له :

— مالك وبنت جارتى .. إن لك بنت عمك .. فهي أجمل من  
تلك .

ويصمت الفتى .. فقد كان صغيراً على مشارف النضج .

وبييت الفتى ساهراً لا يقر له قرار .

وفي صباح اليوم التالي .. أسرع أمه إلى امرأة عمه وقالت لها :

— زيني ابنتك لعبد الله .

وما هي إلا أيام .. حتى تم كل شيء .. وأدخلتها عليه .. فلما رآها

عبد الله أطرق واكتأب .. فقالت له أمه :

— ماذا ترى .. أيها الآن أحسن .

فقال والدمع في عينيه :

إذا غيبت عني حبيشةُ مرةً      من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبرا



وتغافلت أمه هذه المرة كأنها لم تسمع شيئاً .. وانصرفت .  
وتحكى القصة أن عبدالله لم ينصرف عن عشقه بحبيشة .. بل ظل  
يراسلها وتراسله حتى أحبته كما يحبها .  
ويا لسعادة الفتاة حينما يعشقها شاعر .. لتظل خالدة في شعره ..  
ويا لقسوة قومها حينما يرون أن هذه فضيحة يحل دم قائلها .. وتحرم هي  
عليه .

لقد كانت حبيشة تجتمع بصديقاتها لتخبرهن بما يقول فيها عبدالله :

حبيشة هل جدى وجدك جامع	بشمليكم شملى وأهلكم أهلى
وهل أنا ملتفت بشوبك مرة	بصحراء بين الأليتين إلى النخل
وهل أشتفى من ريق ثغرك مرة	كراح ومسك خالطاً ضرب النحل

وتشى واحدة من صديقاتها إلى أهلها .. فيثورون .. ويحبسونها عنه  
مدة .. وهو يزداد لها وغراماً .. ويكثر في قول الشعر .  
ويجيئها عتاة القوم مرة ويطلبون منها أمراً عسيراً .  
— قابليه في موضع كذا .. فإذا أتاك .. قولى له : نشدتك الله إن كنت  
أحببتنى .. فوالله ما على الأرض أبغض إلى منك .  
ويصحبونها حتى موضع اللقاء ويختفون على مرمى ومسمع .  
ويقبل عبدالله لوعدها .. فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت حيث قومها  
جلوس يستمعون وينظرون .. فأدرك الأمر .. وعاد .  
ثم بلغه ما قالوا لها أن تقوله .. فأنشأ يقول :

لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم	على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك حبي عن نوال بذلته	فيسليني عنه التجهم والهجر
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها	ونظرتها حتى يغيبني القبر



ويظل عبد الله على وفائه وعشقه المخلص لا يجيد .. ويظل شعره يتقاطر صافياً .. ليصل إلى قلبها عذباً .. لا شائبة فيه .  
وتشاء الأقدار أن تقترن السياسة بالعشق .. ويكون عبدالله واحداً من رجال هذه اللعبة .

فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة يدعوهم إلى الإسلام .. فإن أجابوه .. وإلا قاتلهم .  
وهنا تختلف الروايات .. حول ما إذا كان النبي الكريم أمر خالداً بأن يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتال .. أم أنه أمره بقتال .  
وكان العرب لا ينسون ثاراتهم وعداوتهم القديمة .. ولهذا ثار بين الفريقين قتال ليس على دعوة الإسلام وإنما على ثارات قديمة .  
وكان عبد الله في صفوف قومه .. وكان منك القوى .. ناهل الجسم .. فأخذه جيش المسلمين وربطوه بحبل لكي يقتلوه .. فقال لهم عبدالله :

— هل لكم في خير .

قالوا : وما هو .

قال : تدركون بي هودجاً يمشى أسفل الوادي ثم تقتلونني ..

قالوا : نفعل .

فخرجوا به حتى وصلوا الهودج .. فصاح عبدالله :

— اسلمي يا حُبَيْش .. عند نفاذ العيش .

فتوقفت حُبَيْش وقالت : وأنت يا عبدالله .. اسلم على كثرة الأعداء ..  
وشدة البلاء .

فقال : سلام عليك دهرأ .. وإن بقيت عصراً .

قالت : وأنت .. سلام عليك عشراً .. وشفعاً ترى .. وثلاثاً

وتراً .



فقال :

وإن يقتلونى يا حبيش فلم يدع  
وأنت التى أخليت لحمى من دمي

فقلت له :

ونحن بكينا من فراقك مرة  
وأنت - فلا تبعد فنعم فتى الهوى

فقال لها :

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم  
ألم يك حقاً أن ينول عاشق

فقلت : بلى والله .. فقال :

فلا ذنب لى إذ قلت إذ نحن جيرة  
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى

وأخذنا يبكيان ويبكيان .

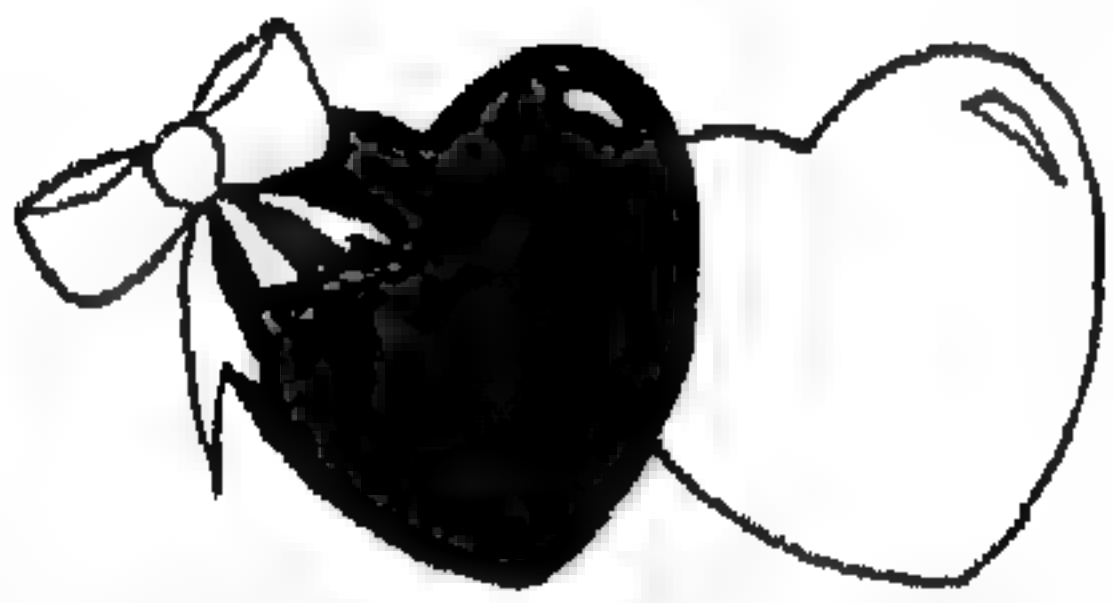
ثم أقبلوا عليه وضربوا عنقه .. فتقحمت حبشته وهبطت من خدرها  
حتى أتت نحوه فالتقمت فاه .. فنزعوا منها رأسه .. وأخذت تضرب  
نفسها حتى ماتت مكانها .

ويفلت من القوم فتى إلى حيث يوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ليخبره بما حدث من سرية خالد .. فتأسى لذلك .. وأنكر على خالد  
ما فعل .. وأرسل عليا إلى القوم بإبل ومال .. حتى رضوا .

وتنتهى حياة البطلين العاشقين نهاية مأساوية حزينة .. يغضب لها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . ومن حوله من المسلمين .. ويعاتب  
فيها خالد بن الوليد !







مرة بن عبد الله  
ومعشوقته ليلي





وما كنت أخشى أن تصير بمرة  
من الدهر ليلى زوجةً لإرانٍ  
لقد بُليت ليلى بشرٍ بليّةٍ  
وقد أنزلت ليلى بدار هوانٍ  
مرة بن عبد الله

ترى ما هذا البلاء الذى رآه هذا العاشق يحل بليلى .  
أما هذا العاشق فهو مرة بن عبد الله بن هليل بن يسار . . أحد بنى هلال  
بن عُصم بن نصر بن مازن بن خزيمه بن نهد .  
وهو شاعر مقل . . لكنه أوقف شعره على عشقه ليلي .  
وأما هى . . فهى فتاة حسناء من قومه يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد  
بن خالد بن عمرو بن سلمة .  
وكانا أولاد عم . . أى أن عشقهما فى إطار التقاليد العربية . . ولكن  
يبدو أن مرة قد أوقع نفسه فى المحذور حين نطق لسانه شعراً فى ليلي بنت  
عمه .

لقد ازداد بها شغفا وولها . . وعبر عن ذلك بشعر يقطر صدقاً وهياماً  
وحينما علم أنها مريضة . . أحس هو الآخر بالمرض . وأنشأ يقول :  
أيا بيت ليلي إن ليلي مريضة      براذان لا خال لديها ولا ابن عم  
ويا بيت ليلي لو شهدتك أعولت      عليك رجال من فصيح . . ومن عجم  
ويا بيت ليلي لا يبت ولا تزل      بلادك يسقيها من الواكف الديم

إنه يجعل نفسه فى موضع المسئولية حين مرضت بنت عمه ليلي .



ليس أمامه إذن وقد استبدَّ به الشغف إلا أن يتقدم لخطبتها .. فأتى  
أهلها أن يزوجه .. لما قاله من شعر فيها .  
فأقسم ألا يكف عن الشعر .. يتغزل فيها .. ويهجو من يخطبها أو  
يتزوجها .

وحدث أن خطبها رجل من بني نهشل يقال له : إران .. فهجاه بأبيات  
منها :

وما كنت أخشى أن نصير بمرة من الدهر ليلي زوجة لإران  
لمن ليس ذا لب ولا ذا حفيظة لعُرس ولا ذا منطق وبيان  
لقد بليت ليلي بشر بلية وقد أنزلت ليلي بدار هوان . .

من ذا الذي يستمع إلى هذا الهجاء ولا يكف ولا يتراجع .  
لقد أوقف مرة أشعاره عليها لكي يهرب كل رجل يريد أن يقترن بها . .  
ويكفي نفسه لسان مرة في الهجاء .

أي سلاح هذا الذي ارتضاه الشاعر دفاعاً عن عشقه .. إنه سلاح  
لم نعهده من قبل بهذا الإصرار والاستمرار .

لكن رجلاً يسمى المنجاب بن عبدالله بن الهيثم من بني زُوى تقدم  
يخطبها وأسرع في الاقتران بها دون أن يسمع إلى هجاء مرة .. ودون أن  
يلقى له بالاً ولا اهتماماً .

يا لحسرة العاشق .. لكأن سلاحه صدىء في مواجهة غرمائه .  
ولم يكتف زوجها بالاقتران بها .. بل رحل بها إلى ( برازان ) بعيداً عن  
عين مرة ويبدو أنها لم تتحمل العيش مع هذا الزوج .. فماتت كمداً  
وحسرة في برازان .

وجاء رجلان ينعيان ليلي لقومها .. وكان فيهم مرة جالساً .. فأغمى  
عليه وحينما أفاق أنشأ يقول :





أيا ناعبي ليلى أما كان واحد من الناس ينعاها إلى سواكما  
ويا ناعبي ليلى ألم نكُ جيرة ندامى ذوى حق فالأ نهاكما  
ويا ناعبي ليلى لقد هجتنا لنا تجاوب نوح في الديار كلاكما  
ويا ناعبي ليلى لجلت مصيبة بنا فقد ليلى لا أمرت قواكما  
ولا عشتما الا حليفى بلية ولا مت حتى يشتري كفنكما  
فأشمت والأيام فيها بوائق بموتكما إني أحب رداكما

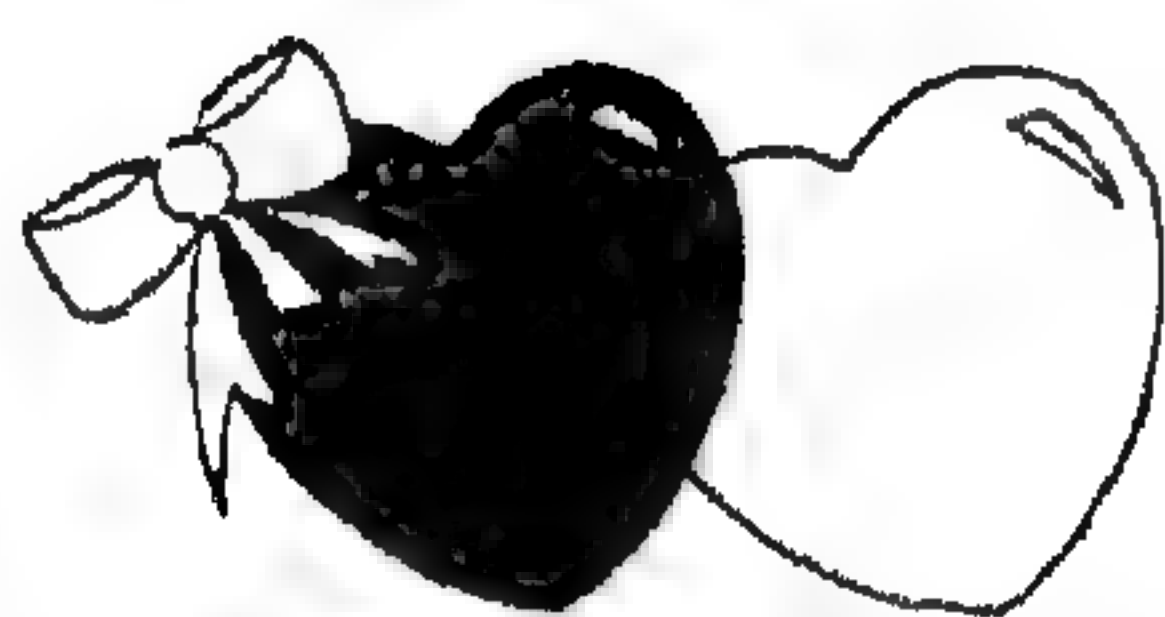
إلى هذا الحد كان التطرف النفسى للشاعر العاشق .. حتى أنه تمنى  
الموت للناعين لمجرد أنها أبلغا القوم بموت ليلى .  
ويظل مرة يرثى ليلى .. ويمعن في الحزن والأسى .. حتى رحل يقف  
على قبرها وينشئ قائلاً :

أيا قبر ليلى لا ييست ولا تزل بلادك تسقيها من الواكف الديم  
ويا قبر ليلى غيبت عنك أمها وخالتها والناصحون ذوو الذمم  
ويا قبر ليلى كم جمال تكنه وكم حزت منها من عفاف ومن كرم

وأخذ يندبها .. ويكب وجهه على قبرها .. وظل ملازماً لقبرها يغدو  
ويروح ويبكى وينوح .. حتى لحق بها .  
وتنتهى قصة عاشق مجنون .. أوقف شعره سلاحاً يهجو به كل من  
يقترّب من حمى معشوقته .. حتى لو كان هو الناعى لها .







القشيري  
مجنون ريا



بكت عيني اليسرى فلما زجرتها  
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً  
حننت إلى رياء ونفُسك باعدت  
مزارك من رياء وشغباكماً معاً

القشيري

واحد من الشعراء المتيمن الذين عاشوا العصر الأموي حاملاً معه بقايا  
التقاليد العربية القديمة نتيجة استغراق العرب - في البادية - في حياة  
اجتماعية قبلية لا تتيح ما تتيحه حياة الحضر .  
لقد عاش المتيمنون حياة العشق بصورة أقرب إلى حياة العذريين . .  
ولكنها حياة تلونت بما اتسم به المجتمع القبلي من قيود وأحلام مستحيلة .  
وكما كانت الحروب تقوم على أتفه الأسباب . . كان التفريق بين العاشق  
ومحبوبته بلا منطق مقبول . . اللهم إلا العناد أو التعصب أو الهوى .  
لقد تعلق المتيمنون بمثل عليا يرونها فيمن يصرن حبيبات . . إن الدنيا  
جميعها تتجسد في الحبيبة . . والحياة والموت والطموح والشعر جميعاً تنبثق من  
عيون المحبوبة . . ومن وصلها وقربها .  
ويبدو أن الشعراء العشاق كانوا لا يطبقون مجرد فكرة أن يستبدلوا محبوبة  
بأخرى . . فقد انغلق القلب على واحدة فحسب . . وعلى العاشق أن يتعبد  
ويخلص ويقف بحياته كلها على باب هذه العاطفة .  
على هذا النحو كانت قصة القشيري وحبيبته رياء .  
أما القُشَيْرِيُّ فهو الصُّمَّةُ بن عبد الله بن الطفيل . . بن قشير بن  
كعب . . بن مضر بن نزار . . شاعر إسلامي بدوي مقل . . من شعراء



الدولة الأموية .. ولجده قره بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم  
وهو أحد وفود العرب الوافدين على الرسول الكريم .  
وينشأ الصمة في بيت أبيه .. وبجواره بيت عمه .. وفيه ابنة عمه  
الحسناء ريا .. رعيًا معاً صغاراً .. ولعباً معاً .. وأحب كل منهما  
الآخر .

ولما نضجا .. وشباً .. ذهب الصمة إلى عمه خاطباً ..  
فاشتط عمه وبالع في المهر .. وقال :  
لا أزوجكما إلا على كذا .. وكذا من الإبل .  
وعاد الصمة إلى أبيه شاكية ملاقاه من عمه .. طالباً أن يساعده ..  
فاستدعى أبوه أخاه وأمره أن يسوق الإبل إلى عمه وفاء لمهر أخيه الصمة ..  
فلما جاء بها عدها عمه .. فوجدتها تنقص بغيراً فقال :  
— لا آخذها إلا كاملة ..

وغضب أبو الصمة .. وحلف ألا يزيد على ما أرسله شيئاً .  
وكما عاند عم الصمة .. عاند أبوه .  
لك الله يا صديقنا الصمة .. يفعلها الكبار .. ويقع فيها الصغار - كما  
يقولون - !

لقد أدرك الصمة أن كلا من أبيه وعمه لا يدركان ما به .  
ويدخل الصمة على أبيه غاضباً .. فقال له أبوه : ما وراءك يا ولدى ..  
أرأيت ما يفعله عمك .  
قال الصمة : ورأيت ما تفعله أنت أيضاً يا أبي .. تا الله ما رأيت قط  
الأم منكما .. وإني لألأم منكما إن أقمت بينكما .  
ثم ركب الصمة ناقته .. فأدركه أخوه وأخذ يسرى عنه .  
فقالت بنت عمه حينما رآته على تلك الحال :  
— ما رأيت كالיום رجلاً باعته عشيرته بأبيرة !





وتتزوج ريا رجلاً آخر .. وكان زوجها قصيراً قبيحاً .. فأخذ يهجوهُ  
ويسخر منه قائلاً :

فإن تنكحوها عامراً لاطلاعكم إليه يدهدكم برجليه عامر  
فلما دخل عليها زوجها عامر بن بشر .. وجد الصمة بها وجداً شديداً  
وحزن عليها .

ويجتمع عليه أبوه وعشيرته .. ويدفعونه إلى الاقتران بغيرها .. فزوجوه  
امراً منهم يقال لها جبرة بنت وحشى ..  
ولم يستمر زواجهما وقتاً طويلاً .. حتى خلفها ورحل إلى الشام غاضباً  
على قومه .. قائلاً لها :

كلى التمر حتى تهرم النخل واضفري خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس  
ويعيش الصمة بقية عمره ذاكراً حبيته ريا :

إذا ما أتننا الريح من نحو أرضكم أتننا برياًكم فطاب هبؤها  
أتننا بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جنوبها

ويحزن القشيري إلى ريا .. لا يذوق النوم ولا الراحة :

حننت إلى ريا ونفْسُك باعدت مزارك من ريا وشعبكُما معا  
ثم يقول :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثى على كبدى من خشية أن تصدعا  
فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ويدركه بعض أصدقائه وهو فى حال شديدة الأسى .. يبكى ويخاطب



نفسه ويقول :

— لا والله ما صدقتك فيما قالت :

فقال الصديق : من تعنى .. ويحك أجننت !؟

قال : أعنى التى أقول فيها :

أما وجلال الله لو تذكرينى كذكرك ما كفكت للعين مدمعا  
فقالت بلى والله ذكراً لو انه يُصبُّ على صمِّ الصفا لتصدعا

ثم يبكى بكاءً مرّاً ويقول :

إذا نأت لم تفارقنى علاقتها وإن دنت فصدود العاتب الزارى  
فحال عيني من يوميك واحدة تبكى لفرط صدود أو نوى دار

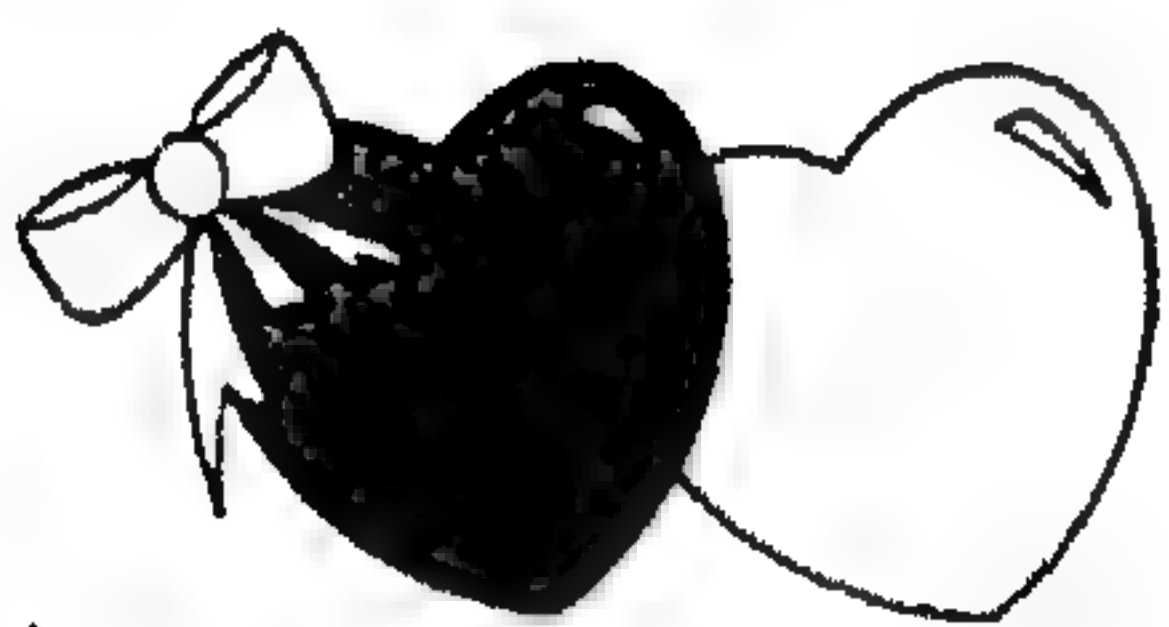
ويطول مقام الصمة فى غربته عن قومه .. ويشتاق إلى ربا .. ويندم  
لفعلته ويمر به بعض القوم وهو مطروح فى بستان يشكو الألم والسقم ..  
فدنوا إليه وهو فى لحظاته الأخيرة .. فإذا هو يهمس فى صوت خفى :

تعزُّ بصبر لا وجدك لا ترى سنام الحمى أخرى الليالى الغواير  
كان فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فمازال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه .. لتغلق صفحة من  
صفحات الحب المتيم الذى يقارب حب العذريين .. لكنه يسبقهم فى  
نزعاته واشتعاله .







عُزْوَةُ بْنُ حِزَامٍ  
رَأْدُ الْعُذْرِيَيْنِ الْمَجَانِينِ







حلفتُ برب الساجدين لربهم  
خشوعاً وفوق الساجدين رقيبُ  
لئن كان برد الماء حرّان صاديّاً  
إلى حبيباً .. إنها لحبيبُ  
عروة بن حزام

١

من أقدم قصص العذرين تاريخاً .  
أما مسرحها المكان فكان في أرض عذرة .  
وأما رجلها المتيم فهو عروة بن حزام بن مهاصر العذري من عذرة بن  
نهد . . أحد الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يدرك العصر  
الأموي لأنه مات عام ٣٠ هـ . . ودفن بوادي القرى .  
ويذكر له التاريخ أنه أول عاشق مجنون . مات بالهجر من العذريين . .  
حتى ضرب به المثل بين العرب . . ولا يكاد يعرف له شعر إلا في معشوقته  
عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر .  
هنيئاً لك يا عروة أن بدأ جنون بني عذرة بك . . ولهذا شاعت بين  
الناس أخبارك . . وأوشكت أن تصبح بينهم شخصية شعبية يلعب الرواة  
بخيالهم في نسج أخبارها . . حتى لتبلغ أحياناً حد التناقض . . وأحياناً  
أخرى حد المبالغة . .  
وتجمع كثير من المصادر على ذكر هذه المبالغات . . لكن رواية الأصفهاني  
في كتابه الأغاني والتي تستقى أخبارها من الأسباط بن عيسى . . قد  
وجدها الأصفهاني أكثر الروايات معقولة ومصداقية واتساقاً .



٢

كان حزام بن مهاصر قد حضرته الوفاة .. تاركاً ولده عروة صغيراً  
لامعين له .. فضمه عمه عقال إلى رعايته .  
وكان لعقال طفلة صغيرة في عمر عروة هي عفراء .. ولهذا نشأ عروة  
وعفراء في بيت عقال يلعبان معاً .. ويذهبان معاً .. ويعودان معاً .. حتى  
ألف كل منهما الآخر ألفة شديدة .  
وكان عقال يسر لما وصل إليه عروة وعفراء من الألفة والمحبة .  
ويوماً يدخل الطفل عروة على عمه عقال بعد أن يستأذن فيبادره عقال :  
— مرحباً بك يا ولدى .. هل من حاجة فأؤديها لك ..  
وعلى استحياء شديد يرد عروة :  
— شكراً لك يا عماء .. إن ما تفعله يشعرني حقاً بالراحة والسعادة ..  
— إنك في بيتك يا ولدى .. وعفراء أختك ..  
— أخشى أن أكون قد أثقلت عليك وعليها يا عماء ..  
— كيف يا ولدى وأنا أبشرك بعفراء إن شاء الله .. فلن أجد أجدر منك  
بها حينما تكبران .  
— أحقا تقول يا عماء ..  
— أجل يا ولدى .. بقي لكما عام واحد .. وتلحق أنت بالرجال ..  
وتلحق عفراء بالنساء .  
وينطلق عروة إلى عفراء يبشرها بما صرح به أبوها .  
— آه يا عفراء .. لو تحقق الحلم .  
ألست معي أن القدر قد رسم لنا ما نحلم به .  
قالت عفراء على استحياء :  
— ربما يا عروة ..  
— ألا تلاحظين معي ما ألاحظ .



— لا أفهم .

— إن أول حرف من اسمينا واحد . . أليست هذه أولى البشائر . .  
وهنا بدت عفراء كأن شيئا ما طفا على ذاكرتها فأغضبها . . إنها لم توافقه  
على هذا القول . . لكنها تحركت خطوتان تعبت بأوراق إحدى الأشجار  
الصغيرة .

ويدركها عروة : ماذا بك يا عفراء .

— يبدو أنك تقول نفس الشيء لابنة خالك عيلة . . إن أول حرف من  
اسمها أيضا يوافق أول حرف من اسمك .  
علت ضحكة مجلجلة من قلب الصغير . . جعلها تستدير إليه . .  
فيلاحقها

— أجنونة أنت . . أين عيلة منك يا عفراء . . هل تربيت معها . . هل  
ألقاها كما ألقاك . . أجمعنا حوار دائم كما نفعل .  
جرت عفراء من أمامه . . وجرى عروة وراءها . . يلعبان . . ويقضيان  
يومهما في سعادة وطفولة بريئة .

### ٣

ويلتحق عروة بالرجال . . وتلتحق عفراء بالنساء . . وفي وجدان كل  
منهما أحلام وأحلام . . لا يشوبها ظل من المستحيل .  
ولأن حال العاشق دائما لا يقر له قرار . . أخذ عروة يعبر عن هذه  
التحولات الوجدانية في بعض أبيات من الشعر . . يبرح بها . . ويفرغ فيها  
ما يقلقه ويحيره .

ويبدو أن الشعر وحده لم يستطع أن يقضى على قلق عروة . . إنه يريد  
أن يطمئن على حبه . . وأن يستوثق منه . . لكن كيف ؟  
إن حيائه الشديد لم يعد يجدى في دفعه إلى سؤال عمه مرة أخرى . .



وتذكيره بوعده القديم .  
 لكن عمه رجل عرف بالصدق والعدالة والحماية والحنان . . والعطف  
 والكرم . . وعروة بالنسبة له من أولاده . . بل قد يكون له لديه قدر خاص  
 لأنه تربى ونشأ مع عفراء . . قرة عين أبيها .  
 أخذ عروة يفكر في كل هذا وهو يسير وحيداً حول ديار قومه في ليلة  
 مقمرة . . ثم توقف فجأة . . فقد شعر بالتعب . . فأسند ظهره إلى إحدى  
 الربي الصغيرة . . وأخذ يسدد عينيه إلى القمر . . وبحاوره في صمت  
 طويل .

ثم تلمع في ذهنه فكرة .  
 إن له عمّة تحبه وتحنو عليه . . وهي أيضاً قريبة من قلب عمه عقال . .  
 فلماذا لا يفصح لها عن قلقه . . فربما تستطيع أن تفعل من أجله شيئاً .  
 ولم يدع فكرة أخرى تطغى على هذه الفكرة . . ولهذا انطلق إلى عمته  
 لاهثاً :

— يا عمّة . . اعذريني واعذري لهفتي واستحيائي . . ولولا أنني ضقت  
 ذرعاً بما أنا فيه . . ما أسرعت إليك .  
 ويبوح عروة لعمته بقلقه وحيرته . . وتعهده خيراً

٤

أما عروة فقد عاد إلى غرفته يتوهم ما سوف يكون من أمر هذا اللقاء  
 المرتقب بين عمه وعمته .  
 وأما عمته فتدخل على أخيها عقال قائلة :  
 — يا أخى . . لقد أتيتك في حاجة . . وأحب ألا أعود بدونها .  
 قال لها عقال :  
 — ماذا وراءك يا أختاه . . والله لا تعودين بغيرها .



قالت :

— حاجتى أن تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراء .. وقد وعدته سابقا .

قال عقال بعد صمت قصير :

— لقد جئتني في أمر وعدت به سابقا .. وإنى لأرى عروة ولدنا .. وما نستطيع أن ننأى عنه .. ولا هو من الرجال الذين لا يرغب فيهم .. لكنه يا أخته .. ليس بذى مال .

قالت أخته :

— وماذا يعنى المال .. وأنت منه هكذا .. وهو منك هكذا !

قال عقال :

— صدقت .. ورددت بلا خيبة يا أخته .

وتطير العمة إلى ابن أخيها عروة الذى تطيب نفسه لما انتهى إليه هذا اللقاء .

لكن الأمر لم ينته عند ذلك .

فقد كانت أم عفراء لا تحب عروة .. ولا تريد أن يكون له مع ابنتها شأن .. إنها أم تطمع في زوج لابنتها ذى مال كثير .. وحسب وفير .. ولا يتحقق ذلك في عروة .

إنها لاشك من أشد العقبات في طريق عروة .

وتنمو هذه العقبة في قلب أم عفراء لتكبر يوماً بعد يوم في ناظرى عروة . وذات يوم اخترق قلقة أحد الأصدقاء .

— أتدرى ما حدث يا عروة .

— خيراً يا أخى ..

— إنه أمر لا ينبىء بالخير يا عروة .. لقد أقبل على عمك عقال ..





رجل من قومه ذو يسار ومال كثير .  
 — ماذا .. أتعنى أنه ..  
 أكمل صديقه ..  
 — خطب عفراء .. ورضيت أمها بهذا .  
 ويطنى على عروة هم شديد .. وأحس أن الدنيا تضيق عليه .. وأن أم  
 عفراء لا تزال تضر له الكراهية .  
 ويظل في عزله أياماً يفكر .. وهو حزين مهموم .



لا مفر إذن من دفع نفسه في الجحيم من أجل عفراء  
 أسرع إلى عمه .. وكان يجلس إلى بعض أصحابه .. فلم ينتظر حتى  
 يغادروا مجلسه بل اقتحم عليهم المجلس .. منحنيا على يد عمه يقبلها وهو  
 يقول والدمع يملأ عينيه :  
 — يا عم .. لقد عرفت حقى وقرايتى .. وإنى ولدك .. ربيتنى فى  
 حجرى .. وأثرتنى بوعدك فى عفراء .  
 وقد بلغنى يا عم أن رجلاً ذا مال ويسار يخطب عفراء .. فإن لبيت له  
 طلبته قتلتنى .. وسفكت دمي .. وإنى أناشدك الله ورحمى وحقى لديك  
 ألا تستجيب له .  
 ورق له قلبه .. ورق له أيضاً قلوب الحاضرين .. فربت عمه عليه ..  
 وقال :

— هون من حزنك يا ولدى وتعتقل .. وإنك تدرى إنك معدم ..  
 وحالنا قريبة من حالك .. ولن أخرج عفراء إلا لك .. لكنك تعرف أمها  
 وماتنوى عليه .. إنها تأبى أن تزوجها إلا بمهر غال .



ويستأذن عروة في محادثة أم عفراء .  
ويبدأ حوارهما معها في ملاطفة وهدوء .. لكن الأم لم تكن تملك إلا هذا  
القلب الصخري الذي تصطدم به أحلام العاشق المتيم .  
إنها تستجيب بشروط .  
إنها تطلب مهراً ليس مؤجلاً .. بل يساق نصفه على الأقل إليها ..  
ولم يملك عروة إلا أن يعدها بذلك .. وعلم أنه لا جدوى من القربة  
ولا غيرها .. فالمال هو الشرط الأول والأخير .  
لا مفر إذن من البحث عن المال ..  
ويلتقي عروة وعفراء .. ليتعاهدا على الصبر والحب معا .. ثم يودعها  
إلى رحيل طال أو قصر .  
لقد قصد عروة بن عم له ذا يسار ومال يقيم في اليمن .. وصحبه في  
طريقه فتیان من بني هلال بن عامر كانا يصادقانه .  
لقد كانت رحلة طويلة .. حاول صاحباه أن يسريا عنه أو يحدثاه ..  
وهو لا يرد ولا يفهم .. لقد كان عقله كله في عفراء .. ووجدانه كله في  
عفراء . ولم يفق من همه هذا إلا بعد أن لقي ابن عمه .. وقص عليه  
قصته .. فأعطاه ابن عمه ما أراد .. مائة من الإبل .. ساقها الثلاثة إلى  
قومهم .  
لقد قضى الثلاثة وقتاً طويلاً في غيابهم عن حبيهم .. حتى ظن البعض  
أنهم لن يعودوا .. أو هكذا ظنت أم عفراء .





٦

وحدث في أثناء غياب عروة أن قدم الحى رجل من بنى أمية .. وأخذ ينحر الإبل ويهب المال ويطعم الناس .

ويرى هذا الرجل عفراء فتعجبه ويسأل عن أبيها .. ويدلونه عليه .. فيخطبها لنفسه .. لكن الشيخ تذكر وعده لابن أخيه .. ثم يجرى بينه وبين الرجل هذا الحوار :

قال عقال للرجل الغريب :

— لقد رأينا ثراءك وسعة كرمك .. وجودك على الناس .. نعم لن نجد أعز منك لابنتنا .

— وأنا من أجل ابنتك أهب ما تريد من المهر .. ولن أرد لك مطلباً .

— لكن لى وعداً وعدته لابن أخى عروة .. فقد رحل ليحىء بمهره لعفراء .. ولا أريد أن يقول عنى العرب : إننى أخلفت وعدى مع ابن أخى .

— وهل مهر ابن أخيك يعدل ما أملك أيها الشيخ .

— وعدى لابن أخى أسبق من مهرى لى .

ويدل بعض الناس هذا الرجل على أم عفراء .. لما عرفوه عنها من حبها للمال ورفضها لعروة .. فيذهب الرجل إليها .. ليوافق عندها قبولاً .. وتجدها فرصة سانحة لتحقيق ما تريد .

وتدخل على زوجها لتقول له :

— ماذا ترى فى عروة من خير حتى تحبس ابنتى عليه .. وقد جاءها هذا الثرى الكريم يطرق بابها .

إنك لا تدري حتى عروة أم ميت .. وهل سينقلب إليك بخير أم لا .. فتحرم ابنتك من الخير الحاضر .. والرزق الموفور .. فكر يا أبا عفراء ..



ويحار عقال بين وعده لعروة وانقطاع أخباره .. وبين إغراء المال وإلحاح زوجته .

ولم تزل أم عفراء تلح على زوجها حتى لان قلبه وقال :  
 — لقد ذهب الرجل الآن عن حينا .. فإذا عاد خاطباً أجبته !  
 ولم تنتظر الأم .. بل أسرعت ترسل إلى الرجل .. أن يعود خاطباً .  
 وسرعان ما حضر الرجل بإبله التي ينحرها .. وماله الذي يمنحه  
 الفقراء .. وطعامه الذي يوزعه على الناس .  
 ثم أولم وليمة كبيرة لأشراف الحى ومنهم عقال .. فلما انتهوا من الطعام  
 أعاد الرجل طلبه في خطبة عفراء .  
 فلم يملك أبو عفراء إلا الاستجابة .. خاضعاً .. خجلاً .. وساق إليه  
 عفراء زوجة على غير رضا منها .. ورحل الرجل بها إلى الشام .  
 لقد انتصر المال على الحب .. والطمع على العاطفة .. وانهزمت كل  
 القيم الإنسانية أمام إغراء الثراء والحسب الوهمى .  
 وتنتقل عفراء وهي غارقة في أحزانها إلى بيت الرجل الثرى .. وكأنها  
 واحدة من تلك السلع التي يتاجر فيها زوجها .  
 وتستسلم لأقدارها ولسان حالها يلهج بقولها :

يا عُرو إن الحى قد نقضوا عهد الإله وحاولوا الغدرا

هذا هو الموقف صراحة يا عروة .. لخصته لك معشوقتك المخلصة ..  
 لكن ليتها كانت تملك مصيرها أمام طمع أمها ومؤامرتها أن تكون هذا  
 الرجل الذى يدفع أكثر .

لقد ضربت أمها بالقيم جميعها عرض الحائط .. ووضعت زوجها فى  
 مأزق شديد أمام كبراء القوم .. حتى استجاب وفى نفسه شيء .. حسبه  
 أنه وعد ابن أخيه بأن عفراء له .. وأنه سوف يحتفظ بها حتى يعود من سفره



بما يجيء به من المهر .. لكن شيئاً من هذا لم يبق بين يدي الأب فقد نفذ  
السهم .. وانتهى الأمر .. بلا عودة .

## ٧

ويعتزل عقال الناس مفكراً في الأمر .. وتحاول زوجته أن تخلصه من  
هذه الوسواس .  
كان يسأل نفسه كل ساعة وكل لحظة : هب أن ابن أخي عاد ومعه مهره  
الذي سافر من أجله .. ماذا أفعل ؟  
وواتته فكرة للخروج من هذا المأزق .  
جمع الحى .. وسألهم أن يكتموا أمر عفرَاء عن عروة حين يعود .. وأن  
يقولوا : إنها ماتت .  
وانطلق مع بعض الحى إلى قبر عتيق فجدده وسواه .. وكأنه قبر  
عفرَاء .  
وتمضى الأيام .. وعقال يود لو أن عروة يطول سفره .. أو لا يعود ..  
فتنساه ذاكرة الحى .  
حتى جاء يوم شديد الحرارة من أيام الصيف .. وهاهى ذى خلف  
الروابي المنخفضة تثور زوبعة من رمال الصحراء .  
ويخرج أطفال الحى وشبابه يستطلعون الأمر .  
— مَرَّحِبَا بك يا عروة .. وعودة حميدة يا بنى .  
عانقه عمه عقال عناقاً حاراً .. يكاد لا تشوبه شائبة .  
— لم أتأخر عليك يا عماء .. إن الشهور الستة لم تمر بعد .. بقى نصف  
شهر عليها .. وهاهو ذا مهرى لعفرَاء .. مائة من الإبل .. لعلك  
ترضى .





ويصحبه عمه إلى داخل البيت :  
— عليك يا ولدى أن تزيل غبار السفر .. وتستحم أولاً ثم نتحدث في  
الأمر .

— لا عليك يا عماء .. أريد فقط أن ترضى عما فعلت .  
— أنا راض يا ولدى .. لكن الأمور ليست كما تظن .  
نهض عروة من مكانه كالممسوس صائحاً :  
— ماذا تعنى يا عماء .. ماذا حدث .  
نظر إليه عمه عقاب ملياً .. ثم افتعل البكاء ونحشرج صوته قائلاً :  
— عفراء يا ولدى .. اختارها الله إلى جواره :  
— ماذا .. متى .

— منذ شهر يا ولدى ..  
ويسقط عروة غائباً عن الوعي لبعض الوقت .. ثم يفيق ولسانه  
لا يعرف من الكلام إلا « عفراء » .

ويصحبه عمه إلى قبر عروة الموهوم .. ويبكي عروة .. كما لم يبكي من  
قبل .. ويتركه عمه جوار القبر مضني هالكا .

ويظل أياماً يجاور القبر .. حتى جاءت جارية من جوارى الحى ..  
وشاهدت حزنه ونحوه .. وحاله التى تقترب من الموت والفناء ..  
فأشفقت عليه .. واقتربت منه .. وأخذت تحكى له حقيقة ما حدث .  
وينطلق عروة إلى الشام حيث عفراء وزوجها .

وأخذ يسأل عن هذا الرجل حتى دلوه عليه .. فدخل عروة عليه وأخفى  
نسبه .. وانتسب إلى عدنان .. فرحب به الرجل وأكرمه وأحسن  
ضيافته .. ومكث عنده أياماً حتى أنس له .. واطمئن إليه .  
وكانت تدخل عليه كل يوم جارية الرجل بالطعام .. فقال لها يوماً :  
— هل لك فى عمل تفعلينه من أجلى .



قالت الجارية : إذا كان في وسعي ذلك .. أفعله .  
 قال : بل هو في وسعك .  
 عليك فقط أن تأخذي خاتمي هذا وتعطيه لمولاتك عفراء .  
 وهنا صاحت الجارية في وجه عروة :  
 — ماذا تقول أيها الرجل : أما تستحي أن تقول هذا لي .. يا لسوء  
 ما تظن !

واستطاع عروة أن يهديء من نائرة الجارية .. قائلاً :  
 — ويحك إنها والله بنت عمي .. وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه  
 من الناس جميعاً .. ضعى هذا الخاتم في إنياء لبنا في الصباح .. فإن  
 اكتشفت ذلك ولامتك .. قولي لها : لقد شرب ضيفكم في الإنياء قبلك  
 يا سيدتي .. ولعل الخاتم سقط منه فيه .  
 وبدأ على الجارية الاقتناع بما قاله عروة .. وفعلت ما طلبه منها .. فلما  
 شربت عفراء اللبن رأت الخاتم .. فعرفته .. فشهقت .. وسألت الجارية  
 أن تخبرها بحقيقة الأمر .. فأخبرتها ..  
 ماذا تفعل عفراء .. لقد تملكها الحيرة بين زوج منحها الراحة  
 والشراء ..

وبين حبيب لا يزال يملك عليها قلبها .



ظلت عفراء في حيرة طوال يومها حتى عاد زوجها من الخارج فبادرته  
 بقولها :

— أتدرى من ضيفك هذا ؟

قال : نعم .. إنه من عدنان .

قالت : كلا والله .. ليس منهم .. بل هو عروة بن حزام ابن عمي ..



وقد كتمك نفسه حياءً منك .

فأرسل الرجل إلى عروة . وعاتبه على إخفاء حقيقته عنه . . وقال له :  
— على الرحب والسعة يا أخى . . والله لا تبرح هذا المكان أبدا .  
وخرج الزوج وترك عروة وعفراء وحدهما . . وأوصى خادمة له  
بالاستماع إليهما فى الخفاء . . وإعادة ما تسمعه منها عليه .  
ويختل عروة بعفراء . . ويتشاكيان . . ويتبادلان الشوق والذكريات . .  
بعد فراق طويل .

وتطول الشكوى . . وهو يبكى أحر البكاء . . وتبادل بهاء بكاء . .  
وشوقاً بشوق .

ورأت عفراء نحول جسد عروة . . وأشفقت عليه . . وخافت أن يفقد  
حياته إذا ظل هكذا .

ثم أتت بشراب وسألته أن يشربه فقال :

— والله ما دخل جوفى حرام قط . . ولا ارتكبته منذ رأتك عيناى قبل  
رحيلى إلى اليمن . . ولو كنت ممن يستحلون الحرام . . لكنت قد استحلته  
منك أنت يا عفراء . . لكن يشهد الله أننى لا أرغب فى غضبه . . فأنت  
حظى من الدنيا . . وقد ذهبت منى . . وذهبت عنك . . فلا حياة بى  
بعدك . . وقد أكرمنى زوجك وأحسن لقائى . . وأنا أستحى منه . . والله  
لا أظل هنا بعد أن علم من أكون منك .  
إننى أدرك أننى سوف أرحل إلى منيتى . . لأنك الحياة لى . . ويعدى  
عنك هو الموت بعينه .

وتباكيا بكاء مرّاً . . ثم انصرف عنها إلى حال سبيله .  
فلما جاء زوجها أخبرته الخادمة بما جرى بين عروة وعفراء . . فقال  
لعفراء :

— امنعى ابن عمك من الرحيل .



فقلت : لن أستطيع ذلك . . فوالله هو أكرم وأشد حياء من أن يقيم هنا  
بعدهما جرى بينكما .  
فاستدعاه وقال له :

— يا أخى عروة . . اتق الله فى نفسك . . فقد عرفت قصتك . . وإنك  
إن رحلت . . مت . . ووالله لن أمنعك من الجلوس إلى عفراء أبدا وإن  
شئت أفارقها وأنزل لك عنها .  
قال عروة :

— شكراً لك ياسيدى . . على هذا الكرم وهذا الإيثار . . ووالله لقد  
حملت نفسى على الصبر . . وقد يئست من حياقي . . ورأيت أن اليأس  
ينسينى ما كان . . وإن لعازم على العودة إلى أهلى لبعض شئون . . فإذا  
وجدت نفسى قادرة . . ظلمت . . وإلا رجعت إليكم وزرتكم حتى يقضى  
الله من أمرى ما يشاء .  
ويزوده الرجل بالطعام . . ويودعه إلى رحلة العودة القاسية .

#### ٩

ويحاول عروة أن يتماسك . . وأن يقنع نفسه بأخياة بدون عفراء . .  
لكنه لم يستطع .  
لقد أصابته انتكاسة شديدة . . جعلته يفقد توازنه . . فيغيب عن  
الناس . . حتى يكاد قلبه يتوقف عن الخفق .  
وكان كلما أصيب بذلك . . ألقوا على وجهه خماراً لعفراء زودته إياه . .  
فيفيق من غيابه .

وكان طريق العودة طويلاً . . مر فيه على اليمامة . . حيث لقيه هناك  
عرافها ابن مكحول . . فما إن رآه العراف حتى جلس إليه . . وسأله عما به



وهل هو خبل .. أم جنون .  
فقال له عروة : ألك في الأوجاع يا سيدى .  
قال العراف : نعم .  
فأنشأ عروة يقول :

وما بى من خبل وما بى جنة	ولكن عمى يا أخى كذوب
أقول لعراف اليمامة داوئى	فإنك إن داوئتنى لطيب
فسواكبدا أمست رفاتا كأنما	يلذعها بالموقدات لهيب
عشية لا عفراء منك بعيدة	فتسلو .. ولا عفراء منك قريب
عشية لا خلفى مكر ولا الهوى	أمامى ولا يهوى هواى غريب
فوالله لا أنساك ماهبت الصبا	وما عقبته فى الرياح جنوب
وإنى لتغشاني لذكراك هزة	ها بين جلدى والعظام ديب

ولم يستطع عراف اليمامة أن يداويه بشيء .  
ويعود إلى قومه .. بين الحياة والموت ..  
ويعوده أهل الحى .. ويحارون فى حالته .. فمنهم من يقول : إنه مس  
من الجن .. ومنهم من يقول : إنه مجنون العقل .. ومنهم من يقول : إن  
مرضه لا يشفى .  
ويشير بعض أهله بطبيب فى أرض حَجْر فيذهبون به إليه .. ويحقق  
الطبيب فى علاجه .. وهو يقول :  
— والله ما دوائى إلا بشخص فى أرض الشام .. ثم ينشد قوله :

جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف حجر إن هما شفيان
فما تركا من رقية يعلمانها	ولا سلوة إلا بها سقيان





فقالا : شفاك الله والله مالنا  
فويلي على عفراء ويلاً كأنه  
أحب ابنة العذرى حباً وإن نأت  
فيارب أنت المستعان على الذي  
كأن قطعة عُلقت بجناحها  
بما حملت منك الضلوعُ يدانٍ  
على الصدر والأحشاء حدُ سنانٍ  
ودانيتُ فيها غير ما متداني  
تحمَلْتُ من عفراء منذ زمانٍ  
على كبدي من شدة الخفقانِ

ويصب عروة غضبه على عمه الذي خدعه مرتين :  
خدعه حين مناه عفراء .. ودفع به إلى آفاق الأرض البعيدة خلف  
مهرها .. ثم خدعه حين لفق له قصة موتها .. وتركه فريسة أحزانه  
ودموعه .

فمضى عروة يهجوهُ بما ملك من شعر :  
فيا عمُ ياذا الغدرِ لازلتَ مبتلى  
غدرتَ وكان الغدر منك سجية  
وأورثتني غمًا وكربًا وحسرةً  
فلا زلت ذا شوق إلى من هوبته  
حليفاً لهم لازم وهوانٍ  
فألزمت قلبي دائم الخفقان  
وأورثت عيني دائم الهملان  
وقلبك مقسومٌ بكل مكان

ويقضى عروة أيامه بين أمل لاح له ثم ضاع منه إلى الأبد .. وألم يعيش  
به وقد استقر في أعماقه إلى الأبد .

وبين الأملين طيف عفراء الذي لا يفارقه ليل نهار .  
وكلما مضت أيام صحبه بعض أصدقائه في رحلة خارج الحى إلى طبيب أو  
عراف ليعود أكثر ألماً وجنونا .

وكان يأتي حياض الماء التى كانت إبل عفراء تردّها وهم صغار ..  
فيلصق صدره بها .. فيقال له :

مهلا يا عروة .. إنك والله تقتل نفسك بما تفعل .. فاتق الله !  
لكن عروة لا يستمع إلى أحد ويظل في جنونه حتى يشرف على التلف





ويشعر بالموت فيقول :

بي اليأس والداء الهيام سُقيتهُ فإياك عنى لا يكن بك مايا

وينصرف الناس عن عروة . . وجنونه . . ويعوده أهله بين الحين والآخر  
حتى يشسوا منه . . وهاهو ذا عروة في فناء بيته المنعزل عن حى عذرة . .  
يراه بعض الناس مستلقيا على قفاه لم يبق منه إلا جلد وعظم . . وقد التف  
حوله أخواته وأمه وخالته . . ولسانه ينشد في همس :

من كان من أخواتي باكيا أبدا فاليوم إني أراى اليوم مقبوضا  
يسمعنييه فإني غير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضا

ويشهق عروة شهقة أخيرة . . ويبلغ النبأ عفراء فتدخل على زوجها  
قائلة :

— لقد قضى عروة . . ياهناه . . لقد كان من أمر هذا الرجل ما قد  
علمت . . وما كان والله إلا على الأمر الحسن الجميل . . فإن رأيت أن تأذن  
لى فأخرج فى نسوة من قومى فننديه ونبكى عليه .  
فيأذن زوجها لها بالخروج . . وهى تقول :

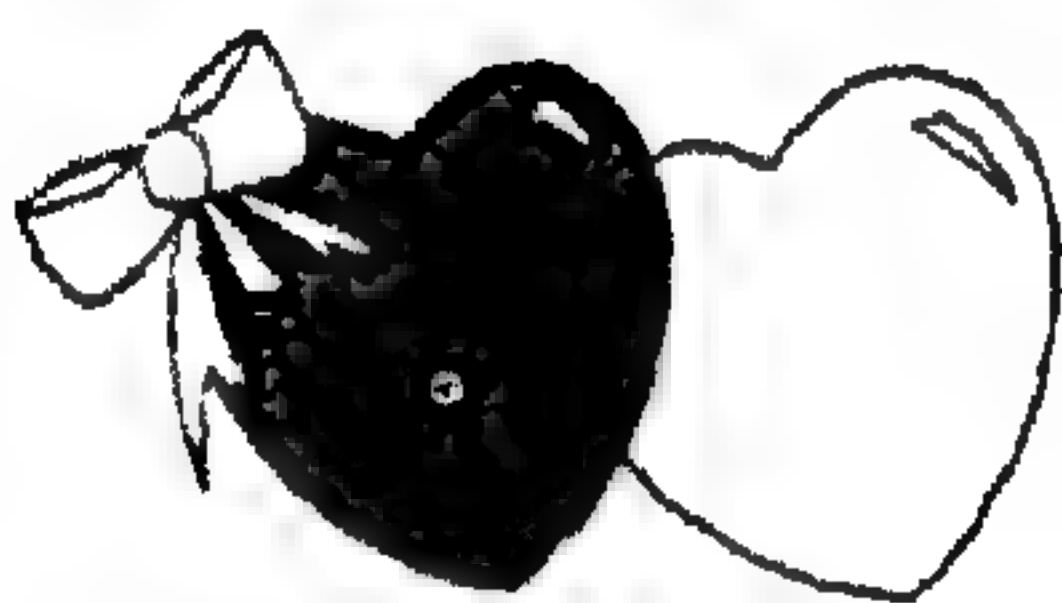
ألا أيها الركب المخبئون ويحكم بحق نعيم عروة بن حزام  
فلا نقع الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام  
وقل للحبالى لا يرجين غائبا ولا فرحت من بعده بغلام

وتظل عفراء تندب عروة وتبكى عليه حتى ماتت بعده بأيام قلائل . .  
فلما بلغ الخبر معاوية بن أبى سفيان قال :



لو أنى علمت بحال هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما !  
ويأبى خيال القصاص إلا أن يجمع بينهما بعد الموت - وظنه الكثيرون ليس  
بعيداً عن الخيال - فقد دفنت عفرأء إلى جانب قبر عروة . . ومن القبرين  
تنبت شجرتان غريبتان لم ير الناس مثلها من قبل . . تظلان تنموان حتى  
تلتف إحداهما على الأخرى . . تحقيقاً لأمل قديم حالت الحياة دون تحقيقه  
وأبى الموت إلا أن يحققه !





قئيس بن الملوّح  
مجنون ليلي





لقد ثبتت في القلب منك محبة  
كما ثبتت في الراحتين الأصابع  
وأنت التي صيرت جسمي زجاجة  
تتم على ما تحتويه الأضالع  
(المجنون)

١

نجد ..  
تلك البقعة التي تتوسط جزيرة العرب .. كانت مسرح هذه القصة  
الغريبة .. ومعنى ( نجد ) الأرض العالية المرتفعة .. ويحدها من الشمال  
صحراء النفود .. ومن الجنوب الربع الخالي .  
أما صحراء النفود ففيها بعض الواحات التي نشأت حول الآبار والعيون  
القليلة المتناثرة هنا وهناك .. ويصيبها الغيث بين الحين والآخر .. فيسرع  
الناس ومعهم أنعامهم يرعون خضرة المطر .  
وأما الربع الخالي .. فهو يخلو من الماء ومن مقومات الحياة .. وتكثر  
رماله وأخطاره .. فالحياة فيه صعبة .. قاسية .  
وأما مسرح قصتنا - نجد - فتتوسط المنطقتين .. وتجمع بين الهضاب  
الصخرية .. والمناطق السهلة الهشة .. والأودية الضحلة .. ومن ثم  
تتناثر مناطق الخضرة فوق الروابي .. وفي الأودية ، كما تكثر الصخور  
الشائخة الشماء .  
وحياة البشر في نجد .. حياة ظمأ إلى كل شيء .  
ظمأ إلى الماء والكلأ ..



وظمأ إلى الجمال .. والتأمل في إبداع الخالق .  
 وظمأ أكبر إلى الحب .. وسط هذا الجفاف الممتد !  
 ولهذا قيل عن نجد .. إنها أطيب أرض في بلاد العرب .. استطاع  
 الانسان العربي أن يجعلها منطقة الحب والجمال والفصاحة جميعا ..  
 وزمن أحداث قصتنا يعود إلى أيام الدولة الأموية .. ذلك العصر الذي  
 تميز بأحداث جسام وبتيارات سياسية وغير سياسية سجلها التاريخ الأدبي  
 بكل دقة ..

كان الطفل قيس بن الملوح بن مزاحم .. بن عامر .. يرعى الأغنام  
 عند جبل يقال له التوباد ..  
 وفي يوم .. نفرت منه شاة .. فتبعها إلى أن أمسك بها .. وقد بعد  
 قليلا عن أغنامه .

وما كاد يمسك بها حتى نفرت منه مرة أخرى .. وهنا صكت أذنيه  
 ضحكة ساخرة رقيقة لطفلة ترعى الغنم قريبا منه .. فأسرع يقبض علي  
 شاته ويتجه إلى حيث الصوت الضاحك .

إنها ليلي .. بنت عمه مهدي .. بن عامر ..  
 — ما الذي أتى بك إلى هنا أيتها الشقية .  
 قالت ليلي ساخرة :

— لكى أستمع بما شاهدته الآن .. صبي .. تفر منه شاته ..  
 — لكننى قبضت عليها يا بنت العم .  
 — حسنا .. هذا واجبك .

أخذت تضحك .. وتضحك .. وقيس حائر فيها وفي ضحكها ..  
 اقترب منها قيس .. وكأنه يراها للمرة الأولى .. ونسى تماما أنها ..  
 التقيا .. قبل هذا .. لكنها كانا بين قومهما .

— اضحكى يا بنت العم .. فوالله لقد أحيت ضحكك ..  
 — أتغازلنى يا قيس .





- بل أقول صدقا يا ليلي ..  
 — أأست صغفرا على الغزل يا ابن العم ..  
 — إذا كنت صغفرة على الحب .. فأنا صغفر على الغزل .  
 صاحت فى اندهاش :  
 — أتقول الحب .  
 لم ينتبه قيس إلى سؤالها .. لكنه تابع كلامه :  
 — لكأنى أراك لأول مرة يا ليلي .. أأست بنت عمى .. وأنا ابن عمك  
 ونحن نرعى معا ماشية قومنا .  
 — أفق يا قيس .  
 — بل أسرنى جمالكَ يا ليلي .  
 — ألا تخشى أباك .. أو أبى .  
 — أنا لا أخشى إلا قلبك يا ليلي .. فإذا صدنى .  
 قاطعته ليلي :  
 — لا تكمل يا ابن العم .. فوالله لقد سمعت عنك الكثير .. وإنه  
 لحياء الفتاة التى يجعلها لا تبوح بما تود .  
 — بل بوحى من الآن يا ليلي .. فقد بدأت بوحى .. بل أحس شيئا  
 ما بداخلى يقتلنى إذا لم أبح به .  
 — لعله الشعر يا قيس .  
 — والله لو كان .. لأجعله لك وحدك يا ليلي .  
 — وتذكرنى به .. ويسمعه الناس .. والرائح والغادى .  
 — نعم يا بنت العم .  
 — تعلم يا قيس إنى بصيرة بالشعر والأدب .  
 — سأسمعك يا ليلي ما لم تسمعيه من قبل .  
 وكاد الحديث يطول .. لولا دعوة القوم لها بالعودة إلى الديار ..  
 فتواعدا على لقاء الغد .



ولم تكن العرب تنكر حديث الفتى للفتاة .  
أما ليلي فكانت جميلة الملامح .. تنم عن ذكاء نادر .. أو كما يقول فيها  
قيس :

بيضاء باكرها النعيم كأنها قمرٌ توسط جنح ليل أسود  
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد  
وترى مدامعها ترقرق مقلة سوداء ترغب في سواد الاثمد  
خودٌ إذا كثر الكلام تعودت بحمى الحياء .. وإن تكلم تقصد

٢

وتدخل ليلي على أمها .. في سعادة غامرة .  
وتحدها الأم بطرف عينا :  
— ماذا بك يا ابنتي ..  
ولأن ليلي تربت على الصدق .. والشجاعة .. أجابت :  
— رأيت اليوم قيس بن عمي .  
صاحت الأم : تقولين من .. ابن مزاحم .  
— أجل يا أماه ..  
وسادت لحظات صمت .. قطعها ليلي :  
— هل ارتكبت خطأ يا أماه .  
وأقبلت الأم على ابنتها تخفف من قلقها .  
— ليس خطأ يا ليلي .. فأنا أعرفك جيدا .. وأعرف قيسا كذلك ..  
— إذن ما الأمر يا أماه .  
شعرت الأم أن عليها أن تقول شيئا .. لكنها حاولت إخفاء الحقيقة :  
— لا شيء .. لا شيء .. يا ليلي .. فقط قلقت عليك .  
— ولم اليوم يا أماه .. الآن رأيت قيسا ؟  
لم ترد الأم .. وحاولت أن تغير مجرى الحديث .  
— أعلمت يا ليلي أن خطبة بنت عمك غدا .. نجلاء يا ليلي .. سوف



تكون خطبتها غدا .. أدعو الله أن يهني الحياة وأعيش حتى يوم  
خطبتك .

.....

أدركت ليلي أن أمها تغير الحديث .. فألقت بنفسها في أحضانها باكية :  
— انك تشعرينني اليوم أنني ارتكبت خطأ يا أماه .. فبالله عليك ..  
هلا أرحتنى .. قولي شيئا يا أماه ولا تخفى ما تريدني عنى .  
— يا ليلي .

قاطعتها ليلي :

— بالله يا أماه .. لقد أقسمت أن أعرف حقيقة الأمر .

قالت الأم في همس :

— لعن الله من كانوا السبب في العداوة .

قالت ليلي في دهشة :

— أية عداوة تعنين يا أماه .

— عداوة قديمة يا ابنتي بين أهلنا وأهل قيس .

— وما ذنبنا نحن يا أماه .. وما ذنب الصغار .. أيتحملون أخطاء

الكبار .

— هذه هي الحقيقة يا ليلي .

— وأنت .. أنت يا أماه ..

— يعلم الله يا بنيتي كم أحب أهل قيس .

— وأنا أيضا يا أماه .

— ماذا .

— أقصد أنني لا أكرههم .. ولا نعرف عن هذه العداوة شيئا أنا

وقيس .

.....

وتبيت ليلي تفكر في هذا الموقف الخطير .. على حين بات قيس في قبيلته



لا يذوق النوم . . انه ينتظر صباح الغد . . سوف يقوم مبكرا يسبق ليلي إلى  
جبل التوباد . . وسوف يقترب بأغنامه من موضع أغنامها . . وسوف  
يقضى معها يوما طيبا جديدا .

ويلتقى العاشقان الصغيران . . وتصارح ليلي قيسا بما سمعته من  
أمها . . ويرد العاشق على معشوقته :

— لكن الحب ياليلي لا يعترف بالكراهية والبغض . فأية عداوة قديمة  
ارتكبتها الأجداد . . تحمل لعنتها علينا .

— أنا معك يا قيس . .

— لا تسمعي ياليلي لصوت الكراهية .

يقولون ليلي أهل بيت عداوة بنفسى ليلي من عدو وماليا  
ولو كان في ليلي شذا من خصومة للوئيت أعناق المطى الملاويا

ويتفق العاشقان الصغيران على الحب . . وعلى أن ينهيا بين القبيلتين  
تلك العداوة القديمة ، وبينما هما يتناجيان . . مر عليهما فتى من حى ليلي . .  
فأمطرهما بنظراته الحاقدة الحاسدة ثم أسرع في اتجاه حى ليلي . . وكأنه يلوى  
على خطر .

وهنا تبادل العاشقان نظرة الدهشة والعجب . . ثم قالت ليلي في ثقة  
لصاحبها :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكلٌ عند صاحبه مكينٌ  
تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوئى دفينٌ

فلما سمع قيس البيتين شهق وأغمى عليه . . فمكث على ذلك ساعة من  
الزمان . . وأسرعت ليلي تحضر الماء وترشه فوق وجهه إلى أن أفاق . .  
ويتنشر خبر ليلي وقيس .

أما ليلي . . فتقف حائرة أمام أبيها سيد القوم . . والمسيطر عليها وعلى



خطواتها .. لقد هديها بعدم السماح لها بالخروج إلى الجبل .  
وتبكي ليلي .. لكن قلب أبيها كان كالصخر .  
وأما قيس .. فيلقى نفس التقرير من أبيه .. كيف يسمح لنفسه  
بالحديث مع ليلي .. وهي من قوم يضمرون العداوة والكراهية لهم ..  
ماذا يفعل العشاقان .  
لقد ضرب الحصار حولها أياما .. ثم التقيا .  
لم يتحكم أحدهما في أشواقه .. واستجمع قيس شجاعته .. وبدأت في  
نفسه حاجة إلى معشوقته .  
كان يود أن يعرف أين هو في قلبها .. لكن ليلي - حياء - منعت  
حاجته .  
ويسود صمت طويل بين العاشقين .. بينما تجري الدموع في عيني قيس  
لينشد لها هذه الأبيات :

مضني زمن والناس يستشفعون لي	فهل لي إلى ليلي الغداة شفيع
يضعفني حبيبك حتى كأنني	من الأهل والمال التليد نزع
ندمت على ما كان مني ندامة	كما ندم الغبون حين يبيع

هنا أمسكت به ليلي قائلة :  
— هون عليك يا ابن العم .. فوالله ما في قلبي إلا أنت ..  
ويجفف قيس دمعاته .. وأبيات شعره .. ويلتقط أنفاسه قائلا :  
— انك لا تعرفين يا ليلي ماذا يكنه قلبي .  
— أعرف يا قيس ..  
وهنا .. نظر قيس إلى السماء وهو يمسك بيد ليلي قائلا :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا	لي الليل هزتنى إليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى	ويجمعني والهم بالليل .. جامع





لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في الراحتين الأصابع

وينطلق الشاعر العاشق الصغير .. وينمو الحب بينه وبين ليلي .. غير  
عابئين بما يقوله الناس .. ضارين عرض الحائط بهذا التاريخ الطويل بين  
قبيلتيهما من الكراهية والعداوة ..

ويشب الصغيران .. مع نمو الحب ..  
ويتعديان سن الطفولة .. ليبدأ فصل جديد من العشق والشعر .  
ويواصل العاشقان حياتهما في الخفاء .. لكن أشعار قيس سرعان  
ما تفضح هذا الخفاء .. وذات ليلة .. طرق باب أبي قيس ضيوف ..  
فرحب بهم أبوه .. ولم يكن في البيت شيء من سمن .. فاستدعى الأب  
ولده قيسا .. وقال له :

— اذهب إلى بيت أبي ليلي .. وأطلب منه سمن .  
وقف الصبي مذهولا .

انه يعرف أن بين أسرته وأسرة ليلي عداوة قديمة .. إذن ربما انتهى كل  
شيء .. وبهذا لن تجد ليلي .. ولا قيس عقبة أمام حبهما .  
دار في خاطره كل هذا .. في لحظة عميقة من التأمل .. لكنه مع هذا  
تجمد في مكانه غير مصدق .. فاغرا فاه .. مما دفع أباه إلى حثه على  
الذهاب .

طوى قيس تلك المسافة الفاصلة بين بيت أبيه وبيت أبي ليلي في لحظة  
عابرة كأنه جواد يطير .

وها هو ذا - لاهثا - يطرق الباب .. ويخرج له أبو ليلي :  
— أهلا بك يا ولدي .. ماذا بك .. استرح ثم تكلم .  
وأخذه من يده ليجلسه إلى جانبه .. ويسأله عما يريد .. ويخبره قيس أن  
لديهم ضيوفا .. وليس لديهم السمن .  
ويصبح الرجل على ابنته ليلي ..





ويصل إلى قلب قيس صوتها مليية نداء أبيها .  
لم يدرك قيس ما الذي فعلته ليلي . . وما الذي فعله صوتها وراء الستار في  
قلبه . . انها سوف تدخل على أبيها الآن . . وستفاجأ بوجود قيس . .  
هتف قيس من الداخل :

— اللهم لا تفضحنا . . واستر علينا .  
وتدخل ليلي كأنها فلقة قمر . . كانت تريد أن تقول لأبيها : أمرك  
يا أبي .

لكنها لم تستطع .  
بلعت ليلي كل العبارة إلا الحرفين الأولين . . وشهقت في دهشة . .  
خفق لها قلبها . . وانقطعت أنفاسها !

سألت نفسها : أقيس هذا . . وما الذي أتى به ؟  
تراوحت ليلي بين الفرحة والدهشة . . غرقت في حيرة من أمرها . .  
وقطع أبوها عليها كل هذا القلق حينما قال :

— هذا ابن عمك يا ليلي جاء يطلب سمنا . . املئي له وعاءه . .  
وتسرع ليلي إلى الداخل لتأق إلى قيس بقدرح السمن الكبير تفرغ منه في  
وعاء قيس .

وبدأت ليلي تصب السمن من قدحها في وعاء قيس . . وقيس مثبت  
عينيه في عينيها . . وهي تصب ولا تدري امتلأ الوعاء أم لا ؟  
وظلت ليلي تصب وتصب السمن . . وبدأ حديث هامس بين العاشقين  
حتى امتلأ الوعاء وفاض . . وسال على أقدامهما حتى استنقعت السمن وهما  
لا يدريان من أمرهما شيئاً .

ويفوق العاشقان وقد ملأ السمن أرض البيت .  
فتقول ليلي : رأييت ماذا فعلنا يا قيس .  
فيرد قيس وهو لا يزال في سبحاته :  
لو أنصف الدهر ما فارقتكم أبداً ولا تنقلتُ من ناس إلى ناس



يا لهذا العشق المجنون .

لقد أسرع قيس إلى أبيه بالسمن . . وبقلب ملؤه الجنون والعشق  
معا . . وكان قيس ينتظر من أبيه أو أمه أن يطلب أيها منه شيئا . . فيسرع  
به إلى بيت ليلي . . ليحضره بعد أن يراها .

وكلما مرت أيام لا يريدون من بيت ليلي شيئا . . يحتال على لقاءها  
بأسباب وعلات . . تنم عن عشقه وجنونه .

وذات مساء شتوى أرسلته أمه إلى بيت أم ليلي ليحضر نارا . . وتلفح  
قيس بُرد ثقيل . وأسرع إلى بيت ليلي .

وتستقبله ليلي . . بالنار .

وكعادتها وقفا يتهاوسان حتى احترق الوعاء الذي فيه النار . . ووصلت  
النار إلى البُرد الذي يلبسه قيس . وهو لا يدري من أمره شيئا . . ولا يحس  
بهذا اللهب القاسي .

ويخلع قيس بُرده . . لعله يحتوى النار . . فاحترق البُرد وما استكملا  
حديثهما الجميل . . وأخذ يحدث النار :

يا موقد النار يذكىها ويخمدوها      قر الشتاء بأرياح وأمطار  
قم فاصطل النار من قلبى مضربة      فالشوق يُضرمها يا موقد النار

وينطلق وجدان قيس بالشعر . . ويتدفق أنهارا وجداول . . ويشيب  
بليلى وتطير أشعاره هنا وهناك . . إلى أن تصل إلى أسماع أبي ليلي . .  
انها في عينيه أجمل النساء . . وأظرفهن . . وأحسنهن جسما وعقلا . .  
وأملحهم شكلا . . أو كما يقول :

أخذت محاسن كل ما      ضننت محاسنه بحسنه  
كاد الغزال يكونها      لولا الشوى ونشوز قرنه

وأما حبه لها . . فيفوق كل تصور . . وكل حد .



فحبك أنساني الشراب وبرده  
 وحبك أنساني الصلاة فلم أقم  
 وحبك أبكاني بكل مكان  
 لربي بتسيح ولا بقران  
 ويقول أيضا :

أحبك يا ليلي محبة عاشق  
 أحبك حبا لو تحبين مثله  
 عليه جميع المصعبات تهون  
 أصابك من وجد على جنون  
 ألا فارحمي صبا كثيبا معذبا  
 حريق الحشا مضني الفؤاد حزين  
 قتيل من الأشواق أما نهاره  
 فباك وأما ليله فأنين

وفتي بلغت حاله كذلك .. واختلط لديه الايمان بالوثنية .. والنهار  
 بالليل ، والعقل بالجنون .. والصعب باليسير .. والنعيم بالعذاب ..  
 لفتى غريب عن الناس لكنه ليس غريبا عن معشوقته !  
 لقد نسي قيس في حب ليلي كل شيء .. حتى نفسه ..  
 نسي أنه يعيش .. إلا من أجلها ..  
 وأنه يموت .. إلا من أجلها ..  
 وأنه يشرب .. وأنه يصلي .. وأنه يقرأ القرآن .  
 أما ليلي .. وآه من ليلي .. عند قيس .. ومن قيس عند ليلي .. ان  
 ليلي عند قيس كل شيء في نفسه وفي حياته .  
 فماذا تكون ليلي ؟

أهي تلك الفتاة التي تتعلل ويسوقها الدلال والصد والهجر .. لكي  
 تملك .

أم هي الحبيبة التي تخلت عن عنادها مقدرة إخلاص هذا العاشق ..  
 وتبعد المسافة بين العاشقين . ويشتعل القلب .. حتى يلتقي اللهب  
 باللهيب .. والحلم بالحلم .. والجنون بالجنون .



تكاد شخصية قيس تدخل في مجال الأسطورة ابتداء من الآن ..  
لقد صار عشقه لليلي حديث الناس .. وصار شعره على كل لسان ..  
والعرب تعد ذلك مدعاة للمنع والتفريق والحرمان بين العاشق  
والمعشوق .

علم أهل ليلي بما يقوله قيس في ليلي .. وأدركوا مبلغ هيامه وأشواقه  
وغرامه .. فحالوا بينه وبينها .. وانطلق هائثا على وجهه مشتتلا بالشوق ..  
والأمل معا .

لقد كان قيس جميل الوجه .. راوية للشعر .. حلو المنطق .. مديد  
القامة .. جعد الشعر - كما وصفه معاصروه - .  
وحينما بدأت مأساته .. صار مصفرا هزيلا .. ضعيف البنية .. مجهد  
العينين .. تدعو حاله إلى الاشفاق .. ولسان حاله يقول :

متى يشتفى منك الفؤاد المعبذبُ	وسهم المنايا من وصالك أقربُ
فبعدُ ووجدُ واشتياقُ ورجفةُ	فلا أنت تدنيني ولا أنت أقربُ
كعصفورةٍ في كف طفل يزُمها	تذوق حياض الموت والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها	ولا الطير ذو ريش يطير فيذهبُ
ولو كان لي قلبان عشت بواحد	وأفردت قلباً في هواك يعذبُ
ولي ألف وجه قد عرفت طريقه	ولكن بلا قلب .. إلى أين يذهبُ

لقد أحرق الشوق قلبه .. وفنت كبده .. وعظم داؤه .. فلا شفاء  
ولا عودة .. اختلط عقله .. فترك الطعام والشراب .. وطالت لحيته  
وتوحش .. فلم يجد مأوى لجنونه هذا خيرا من جبل التوباد .. مرتع  
الذكرى .. والحب .. والهمس الجميل ..

انه يعرف أن جبل التوباد قريب .. كان يسرع اليه مع مشرق الشمس  
وهو صبي صغير ، وهو يتذكر أيضا أن الشمس كانت عن يمينه .. إذن





ينطلق إلى هذا الاتجاه ..  
 وجعل قيس الشمس عن يمينه .. وانطلق هائما على وجهه يطلب جبل  
 الذكري .. جبل التوباد .. وظل يسير ويسير .. في لفح الصحراء ..  
 حتى علت الشمس فوق رأسه ولم يصل إلى التوباد .  
 إنه لا يود أن يسأل أحدا عنه .. فسيدله قلبه عليه لا محالة ..  
 وتصبح الشمس عن شماله .. ولا يجد جبل التوباد .  
 لا بد أنه ضل الطريق .. كما ضل عقله تماما .  
 توقف من التعب .. لجأ إلى ظل ربوة .. أخذ يكي ويكي .. حتى  
 سمع أصوات قافلة قادمة نحوه .  
 هب إليها يطلبها .. أسرع إلى رجل منها .. سأله :  
 — بأبي أنت .. أين التوباد من أرض عامر .  
 دهش الرجل لسؤال المجنون .. ثم ضحك ضحكة عالية وأجاب :  
 — أين أنت من أرض عامر أيها الرجل .. إنك على مشارف الشام ..  
 — الشام .  
 — نعم يا رجل .  
 — وكيف لي بالتوباد يا أخى .  
 — عليك أن تؤم النجم الذى يظهر هنا ( وأشار إلى موضع فى السماء )  
 لا تتركه أبدا ..  
 — شكرا لك يا أخى  
 كان على قيس أن ينتظر حتى تغيب الشمس ويظهر هذا النجم ..  
 فيواصل بحثه ويعود أدراجه مرة أخرى .  
 ويمضى قيس لا يثنيه ظلام الليل .. ولا تخيفه الوحوش الضارية ..  
 ويجعل النجم فى عينه .. ويظل يسير .. ويسير .. ليلة .. ليلة ..  
 وليلة .. حتى أضناه السير .  
 ويلجأ إلى واحة خضراء .. يأكل من أشجارها .. ويشرب من



مياها .. ويتأمل قدرة الله في الطبيعة .. ويندهش حين يرى قومها ..  
وينكرهم ..

ويسأل أين هو من التوباد .. وأرض بني عامر .  
فيقولون : انك بأرض اليمن .. أين أنت من أرض بني عامر .. عليك  
بنجم كذا وكذا .

ويظل قيس هائماً .. غائباً .. حائراً .. يتراوح بين الشام واليمن ..  
وبين الشرق والغرب .. لا يعرف ليله من نهاره .. ولا شمس من  
قمره .. واختلطت في عينيه النجوم .. فغابت عنه .. ورحلت إلى آفاق  
أخرى .

وبعد رحلة طويلة مضية .. يهتدى إلى جبل التوباد .  
أنت أيها التوباد .. أنت يا طفولة الحب والشوق .  
يخاطب قيس التوباد .. وينكب على وجهه فوق رماله شوقاً وحنيناً  
وبكاء .. وكأنه يستمع إلى التوباد .. يفرح للقاءه .. ويجفف دمع  
عينه .. ويحتضنه بعد طول غياب فيحكى عن ذلك قائلاً :

وأجهشت للتوباد حين رأيته	وهلّل للرحمان حين رأي
وأذريت دمع العين لما رأيته	ونادى بأعلى صوته .. ودعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم	حوالك في خصب وطيب زمان
فقال : مضوا واستودعوني بلادهم	ومن ذا الذي يبقى مع الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا	فراقك .. والحيان مؤتلفان
سجالاً وتهتانا ووبلاً وديمة	وسحاً وتسجاماً إلى هملان

ويظل قيس يعيش في ظل التوباد زمناً يتنسم ذكريات الماضي .. إلى أن  
قلق عليه أهله .. فأرسلوا من يبحث عنه هنا وهناك .. حتى أعادوه إلى  
الحى في غير وعيه .





وأسرعت أمه إلى ليلي تخبرها بما آل إليه حال قيس .. لقد ترك الطعام  
والشراب وذهب حب ليلي بعقله .  
أخبرتها أمه بحال قيس وقالت لها :  
— لو جئته يا ليلي وقتا .. لعله يثوب إلى عقله .  
قالت ليلي لأم قيس :  
— أما نهارا فلا .. لأنني لا آمن قومي على نفسي .. وسأتيه ليلا ..  
وعادت الأم إلى ابنها تخبره بمقدم ليلي في الليل .  
ليلى قادمة إذن .. حبة القلب والعين . نعمة الله لقيس .  
دخلت عليه ليلي .. وشهقت لحاله :

أخبرتُ أنك من أجلى جنتٍ وقد فارتَ أهلك لم تعقل ولم تفق  
وأفاق قيس على وجود ليلي .. فكف عن هذيانه منشدا :  
قالت جنتٌ على رأسي فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين  
الحب ليس يفيقُ الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين  
لو تعلمين إذا ما غبت من سقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني

فبكت ليلي .. لحال حبيبها .. وتحدثا حتى كاد الصبح يسفر .. ثم  
ودعته ليلي وانصرفت .. وهو لا يدرى أن هذه الليلة كانت آخر عهده  
بها .

وجاءت يوماً نسوة إلى أم قيس .. يسألنها عن قيس .. ويطلبن إليها أن  
يجلسن إليه .. فأدخلتهن عليه .. وهو ينظر إلى الفراغ بلا طائل ..  
وتحلقن من حوله .. فأفاق قيس عليهن .. وسأل :  
— ما بالكن ؟

قلن : نشفق عليك يا قيس .. ولا ندرى ما الذي دعاك إلى ما أنت فيه  
من ليلي .. وما ليلي إلا واحدة من نساء القوم .. فهل لك في أن تصرف



هواك عنها إلى إحدانا .. فنجزيك بهواك .. ونعيد اليك ما ضاع من عقلك .. ويصح جسمك ؟

قال قيس : لو قدرت على هذا لفعلت .. لو قدرت على صرف الهوى عنها إلىكن لصرفته عنها .. وعن كل أحد بعدها .. وعشت في الناس مستريحا ..

قلن له : غريب أمرك يا قيس .. بالله ما أعجبك فيها حتى تملك عليك عقلك وقلبك وحياتك ..

قال قيس : آه !

كل شيء رأيته وشاهدته وسمعتة منها أعجبنى ..  
والله ما رأيت شيئا منها قط إلا كان في عيني حسنا .. ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيء .. أو يعاب شيء .. لأسلو عنها .. فلم أجده ..  
وكيف أعزى النفس بعد فراقها .. وقد ضاق بالكتمان من حبها صدرى وأجهش قيس في البكاء .. فتركته النساء ومضين عنه .. وهن يقلن :  
— انه لمجنون حقا !  
وسمعته وهو يودعهن :

ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا	ولاني لمجنون بليلي موكل
لتذكارها حتى يبُلُّ البكا .. الخدا	إذا ذكرت ليلي بكيت صباة
سواءً ن فاجعني على حبها جلدا	ليارب إن لم تقسم الحب بيننا

ولم يجد قيس خيرا في القعود داخل بيت أبيه .. وعزم على الخروج مرة أخرى إلى الجبل .. وإلى الاقتراب من بيت ليلي .  
ودخل عليه أبوه وهو على أهبة الرحيل .. فقال له :  
— إلى أين يا ولدى ..

— إلى حال سبيلي يا أبي .. ليس لي مقام هنا .  
— يا ولدى .. عنك ما تحمله من حب ليلي .. أسألها بغيرها .



— والله يا أبت ما أجد إلى السلو سبيلا .. وإنى لفى أعظم الكرب  
والبلاء .  
ثم أنشأ يقول :

لئن كان لى قلب يذوب بذكرها      وقلبٌ بأخرى .. إنها لقلوبُ  
فيا ليل جودى بالوصال فأنى      بحبيك رهن والفؤاد كيئِبُ  
لك الله إنى واصل ما وصلتني      ومثني بما أوليتني ومشيِبُ  
وآخذ ما أُعْطيت عفا وإننى      لأزور عما تكرهين هيوِبُ  
فلا تتركى نفسى شعاعا فإنها      من الوجد قد كادت عليك تذوبُ

فخرج أبوه من عنده يائسا من إصلاح حاله ..  
وانطلق قيس مرة أخرى إلى الصحراء .. يحوم حول بيت ليلي تارة ..  
ويلجأ إلى دفء التوباد تارة أخرى ..  
ويذهب إليه أصدقاؤه حيث يكون .. لعلهم يخففون عنه معاناته ..  
بلا جدوى ..

وكان لقيس ابنا عم يأتياه .. فيحدثانه .. ويؤنسانه .. ويسريان عنه  
فى وحدته .. فوقف عليهما يوما وهما جالسان .. فقالا له :  
— يا قيس .. ألا تجلس كما نجلس .

قال قيس : لا .. بل أمضى إلى منزل ليلي .. فأترسمه .. وأرى  
آثارها فيه .. فأشفى بعض ما فى صدرى  
فقالا له : ونحن معك لا نتركك .

فقام الثلاثة وانطلقوا حتى اقتربوا من دار ليلي ..  
ووقف قيس بها طويلا .. يدور حولها .. ويتبع آثارها .. ويكى ..  
ويقف فى أقرب موضع منها .. وكان مما أنشأه قوله :

فواكبدا من حب من لا يحبني      ومن زفرت ماهن فناء



أريتك ان لم أعطك الحب عن يد ولم يك عندي إذ أبيت إباء  
 أتركك للموت .. إني لميت وما للنفوس الهالكات بقاء  
 إذا القوم قالوا وردهن ضحى غد تواهقن حتى وردهن عشاء  
 وحاول ابنا عمه أن يرداه إلى صوابه .. ويجعله يسلو ليلى قليلا ..  
 ويعود إلى عقله .. فكان ينظر إلى بيت ليلى من بعيد ويقول :

وقالوا لو تشاء سلوت ليلى فقلت لهم .. فإني لا أشاء  
 وكيف وحبها علق بقلبي كما علق بأرشية دلاء  
 لها حب تنشأ في فؤادي فليس له - وإن زجر - انتهاء

ويعود قيس مرة أخرى إلى حيث كان !  
 وذات يوم .. مر قيس .. في توحشه بحى ليلى .. فلقى ليلى فجأة ..  
 فعرفها وعرفته .. فصعق .. وخر مغشيا عليه .  
 وتجمع فتیان الحى .. فأخذوه .. ومسحوا التراب عن وجهه ..  
 وأسندوه إلى صدورهم .. وسألوا ليلى أن تشفق عليه وتقرب منه .. فرقت  
 له لما رآته من حاله .. وقالت :  
 — لا يجوز أن أفتضح به .  
 واستدعت أمة لها وقالت :

— اذهبي إلى قيس وقولي له : ليلى تقرأ عليك السلام .. وتقول لك :  
 أعزُّ على بما أنت فيه .. ولو وجدت سبيلا إلى شفاء دائك لوقيتك  
 بنفسى منه !

فمضت الخادمة إلى حيث كان قيس وأخبرته بقولها .. فأفاق وجلس ..  
 وقال : أبلغها السلام .. وقولي لها : هيهات هيهات .. ان دائي ودوائي  
 أنت .. وان حياتي ووفائي لفي يديك .. ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاء  
 طويلاً .





فوالله ثم الله إني لدائب      أفكر ما ذنبي إليك فأعجب  
ووالله ما أدرى علام هجرتني      وأى أمورى فيك ياليل أركب  
أقطع جبل الوصل فالموت دونه      أم أشرب رنقا منكمو ليس يُشرب  
أم أهرب حتى لا أرى لى مجاورا      أم أفعل ماذا .. أم أبوح فأغلب  
أحن إلى ليلي وإن شطت النوى      بليلي كما حنّ اليراع المثقب  
يقولون ليلي عذبتك بحبها      ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

وتعود الخادمة إلى سيدتها وتحكى لها ما كان من قيس .. فتجهش ليلي  
بالبكاء والشوق .. وتمضى الأيام .. وتحط أثقالها أكثر على عقل قيس ..  
ويحار أبوه وعشيرته في أمره .. ويحتال أبوه عليه .  
أرسل إليه رجلا يخبره أنه لقي ليلي وجلس إليها .. ووصف الرجل إلى  
قيس صفات من ليلي ومن كلامها مما يعرفه قيس جيدا .. حتى تنبه قيس  
لحديث الرجل .. فوجدها الرجل مدخلا جيدا لما دبره مع أبيه .  
قال له الرجل : أتدرى يا قيس ما تقول عنك ليلي .. إنها تشتمك  
وتسبك .. وأنت تخلص لها وتعشقها .. وهى تقول للناس عنك إنك  
كاذب فاضح لها .. وأنها تنكر أنها تعرفك أو اجتمعت معك !  
ولم تنجح حيلة الرجل وأبى قيس .. بل ازداد نشاط قيس .. فثاب إلى  
عقله بمجرد ذكر أخبارها - الملفقة - وأنشأ يقول :

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى      ويصدع قلبى أن يهب هبوبها  
إذا هبت الريح الشمال .. فإنما      جواى كما تهدي إلى جنوبها  
قريبة عهد بالحبيب .. وإنما      هوى كل نفس حيث كان حببها  
حلال ليلي شتمنا وانتقاصنا      هنيئا .. ومغفور ليلي ذنوبها

ويمضى الرجل من عند قيس خائب السعى .  
وكان قيس يألف الحر والبرد .. والشمس الحارقة والسيل .. لا يشعر





بتغير الطقس .

وأراد يوما أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل .. فقد يش من حياته من  
محبوبته التي لا يراها .. ولا ترد على لوعته .  
وكاد يفعل ذلك لولا أن لحق به جماعة من أصحابه .. ولما سأله لماذا  
تفعل ذلك بنفسك أجابهم انه يريد أن يلقي بنفسه مع ريح نجد حيث  
تذهب به إلى ليلي .  
وفي اليوم التالي أقبل عليه نفر من هذه الجماعة .. واختاروا منهم  
واحدا .. وقدموه اليه قائلين :

— إنه رجل قادم من ناحية نجد .

فتنفس قيس الصعداء حتى ظنوا أن كبده تصدعت .. ثم جلس يسأل  
الرجل عن نجد وأحيائها .. وأوجعه الوصف .. ففاضت نفسه شعرا :  
ألا حبذا نجد وطيب ترابها وأرواحها إن كان نجد على العهد  
وتبلغ الجماعة أباه عما كان ينوي عليه قيس .. فيسرع اليه مع جمع من  
أعمامه وأخواله .. فلاموه .. وعذلوه وقالوا له :

— لا خير لك في ليلي .. ولا خير لها فيك .. وقد رددنا عنها .. ولك  
في بنات عمك من هي خير لك منها .. فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن  
يزول عنك بعض ما في قلبك من حباها .  
وأطرق قيس برهة .. ثم بكى .. وقال قصيدة طويلة منها :

يلومون قيسا بعدما شفه الهوى      ويات يراعى النجم حيران باكيا  
فياعجبا بمن يلوم على الهوى      فتى دنفا أمسى من الصبر عاريا

فلما سمعوا أبياته أسمعوه ما يكره .. وانصرفوا عنه يائسين .  
وهكذا غرق قيس في جنونه بليلي .. وأغلق على نفسه عالمها وحده ..  
وكف نفسه واحساسه عن كل شيء حوله سواها .  
بل وجدناه يهيم في الصحراء على وجهه .. يعيش مع الوحوش والطيور



وقسوة الطبيعة لعله يجد فيها مالم يجده في البشر من سلوى .  
 ويبلغ به الجنون حدا شديدا . . وكان كلما رأى شيئا ينتمى إلى نجد  
 هاجت الذكرى داخله واشتعل شوقا وحنينا . . وقضى يومه ذاهلا عن  
 نفسه .  
 لك الله يا قيس . . وعلى عقلك السلام : . وعلى قلبك الصدق  
 والعشق .



ويضيق أهل ليلي بالمجنون . . ويضيقون بأهله راثحين غادين يطالبونهم  
 بزواج قيس وليلى . . وأبوليلي يابى . . ويشكو قيسا إلى السلطان فيهدر دمه  
 لهم . . ولكنه لم يبال بالخطر . . فكان يغشى حتى ليلي ويقول :  
 — الموت أزوح لى .

ويرتحل أهل ليلي من حيهم . . ويبعدون . . ويعرف قيس إلى أين هم  
 ذاهبون . . فيسرع اليهم . . ويلصق صدره بمنزل ليلي ويمرغ خده في  
 ترابه .

وكان قيس بعد رفض والد ليلي تزويجه . . يهيم في الحى وحده . .  
 ويغيب أياما ويتفرس الناس . . ويهمل ثيابه . . فكان يلفت بذلك أنظار  
 من يراه . . بل أصبح حديث الناس في القبائل . . وموضع عطف  
 كثيرين . . فهو ابن سيد الحى . . وكان من قبل قد عرف بالذكاء . .  
 ورواية الشعر والأخبار . . فكف عن ذلك كله إلا ذكر ليلي .

وقد رآه مرة عمر بن عبدالرحمن بن عوف . . عامل مروان بن الحكم على  
 الصدقات . . فاقترب منه . . وكلمه . . وطلب منه أن ينشده شعرا  
 فأنشده . . وأعجب به فسأله قيس أن يخرج معه . . فأجابه إلى ذلك . .  
 ولكن قوم ليلي أخبروه بخبره . . وأن السلطان أهدر دمه . . فرجع عما وعد  
 به . . وأمر له بإبل . . فردها قيس وانصرف مغضبا .



وكان قيس يريد من مصاحبة ابن عوف أن يأتي حتى ليلي .. وربما حمل ذلك والد ليلي على الرجوع عن رفضه .

ورثى لحاله ( نوفل بن مساحق ) عامل ابن عوف .. بعد أن رآه في حالة توله وهيام وجنون .. فكلمه ابن مساحق ، في أمر ليلي فأفاق قيس وأخذ يشكو له ما فعلوا به ..

فقال نوفل : أتحب أن أزوجهما .

قال قيس : وهل إلى هذا من سبيل .

فوعده نوفل ببذل الجهد .. ودعا له بشباب جديدة .. وصار قيس على هذا الحال كأصح أصحابه .. يتحدث وينشده .

ولما بلغ ابن مساحق قوم ليلي .. تلقوه بالسلاح وقالوا له :

— ان السلطان قد أهدر لنا دم المجنون .. ووالله لا يدخل منازلنا أبدا . فأقبل ابن مساحق بهم وأدبر .. فأبوا عليه .. فأثر رد قيس على سفك الدماء في الحرب .. ورجع قيس دون مراده .

ويبلغ البلاء أشده حينما خطبت ليلي إلى واحد من أهلها - من بني ثقيف - يدعى « وردا » فأعجب بجماها .. وطلب يدها .. وفي ذلك يقول قيس :

ألا إن ليلي العامرية أصبحت تقطع إلا من ثقيف حبالها  
هو حبسوها محبس البدن وابتغى بها المال أقوام .. ألا قل مالها

ونخشي أهل قيس عليه .. فحبسوه وقيدوه !

وهنا طلق قيس الدنيا .. وهام مرة أخرى في البرية .. وخلوا سبيله مع الوحوش .. يذهب أهله إليه كل يوم بطعامه .. فلا يأكل .

ويجتمع أهل الحي إلى والد المجنون .. وينصحونه بأن يحج بولده .. لعله يجد براء لما به .. ففعل .

وجاءه أبوه .. وأخذه إلى الكعبة وقال له :



— تعلق يا ولدى بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلي .  
ويرد قيس : اللهم زدني لليلي حبا .. وبها كلفا .. ولا تنسني ذكرها  
أبدا .

وحينما رأى قيس الناس محرمين بمكة يدعون ربهم .. أنشد :

دعا المحرمون الله يستغفرونه      بمكة وهنا أن تمحى ذنوبها  
وناديت يا رباه أول سؤلتى      لنفسى ليلي ثم أنت حسيبها  
فكم قائل قد قال تب فعصيته      وتلك لعمرى توبة لا أتوبها

ويعود الحجيح ..

ويمرون ومعهم المجنون بزواج ليلي .. وهو جالس يصطلى في يوم  
شاق .

فوقف المجنون عليه وسأله :

بربك هل ضمنت إليك ليلي      قبيل الصبح أوقبلت فاهها  
وهل رفت عليك قرون ليلي      رفيف الأقحوانة في نداها

فقال زوج ليلي :

— اللهم قد حلفتني .. فنعم .

فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر .. فما فارقها حتى سقط  
مغشيا عليه .. فقام زوج ليلي مغموما بفعله متعجبا من حاله .  
ومرة .. خرج زوج ليلي وأبوها إلى مكة .. فأرسلت ليلي بأمة لها إلى  
قيس .. ودعته لزيارتها .

ولم يصدق قيس هذه الدعوة .

قالت له الأمة : سر إلى سيدق في كل ليلة .. مادام القيم على سفر ..

فكان يختلف إليها .. حتى قدموا .





وبلغ قيس أن زوج ليلي ذكره وسبه قائلا :  
— أو بلغ من قدر قيس بن الملوح أن يدعى محبة ليلي .. وينوه  
باسمها .

فقال قيس ردا عليه ليغيظه :

فان كان فيكم بعل ليلي فأني      وذى العرش قد قبلت فاها ثمانيا  
وأشهد عند الله أني رأيتها      وعشرون منها أصبعا من ورائيا  
أليس من البلوى التي لا شوى لها      بأن زوجت كلبا .. وما بذلت ليا

لقد اشتد الهول على قيس منذ زوجت ليلي إلى ورد .. ان ذلك كان يعنى  
عنده الموت وقد اشتد مرضه .. ولم تسأل عنه ليلي .. فقال :

فوالله ما أدرى بأية حيلة      وأى مرام أوحظار أخطاظر  
ووالله ما فى القرب لى منك راحة      ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر

عزم زوج ليلي على الرحيل بليلى إلى بلده .. وبلغ قيسا أنه غاد بها  
فاشتعل قلبه كراهية لهذا الرجل .. فقال :

أزمعة للبين ليلي ولم تمت      كأنك عما قد أظلك غافل  
ستعلم إن شطت بهم غربة النوى      وزالوا بليلى أن لبك زائل  
وأنت ممنوع التصبر والعزا      إذا بعدت ممن تحب المنازل

ويرسل اليها رسولا بهذه الوصية :

— قف بحيث تسمعك ليلي ثم قل :

الله يعلم أن النفس هالكة      باليأس منك ولكنى أعنيها

فمضى الرجل إلى حى ليلي .. حتى بلغ دارها .. ولم يزل يرقب خلوه





حتى وجدها .. فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلي .. لقد أحسن الذي يقول :

الله يعلم .

وأنشدها قول قيس .. فبكت طويلا ثم قالت :

— أبلغه السلام وقل له :

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت إذا      ما كان غيرك يجزيها ويرضيها  
صبرا على ما قضاه الله فيك على      مرارة فى اصطبارى عنك أخفيها

ولقيه ابن عم له .. فقال :

— يا أخى .. اتق الله فى نفسك .. فان هذا من عمل الشيطان

فأزجره عنك .. فأنشأ قيس يقول :

ياحبذا عمل الشيطان من عمل      إن كان من عمل الشيطان حبها  
منيتها النفس حتى قد أضربها      وأحدثت خلقا مما أمنيها

ماذا تبقى بعد .. رحل الحبيب .. وانفطر القلب .. وتوحش العالم  
من حوله .. وقدت قلوب الناس جميعا من صجر .. فهى لا تعرف  
الحب .

ماذا تبقى بعد ؟

رحل زوج ليلي .. بليلى .

وانقطعت أخبارها عن الحى .

ونخاب أمل العاشق المجنون .

انه يذكر أنه وأبوه وأهله قد وقفوا مستترين ينظرون إلى موكب ليلي وقد



رحلت مع زوجها وقومها .. فلما رأهم قيس .. بكى وجزع .. فقال له أبوه :

— ويحك يا بني .. إنما جئنا بك متخفيا ليتروح بعض مابك بالنظر اليهم .. فإذا فعلت ما أرى عرفت .. وقد أهدر السلطان دمك ان مررت بهم .. فأمسك أو فأنصرف .. فقال :

— مالي سبيل إلى النظر اليهم وهم يرتحلون .. وأنا ساكن غير جازع .. ولا باك .. فأنصرف بنا يا أبت .

.....

ويحكى أن شيخا من بني مرة خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون .. فدلوه عليه .. وعرف أن أباه شيخ كبير .. وله اخوة رجال .. ولهم خير كثير .. وحكوا له حكايته قال لهم : دلوني عليه .

فدلوه على فتي من الحى كان صديقا له .. وقالوا :

— انه لا يأنس إلا به .. ولا يأخذ أشعاره عنه غيره .

فأتاه الشيخ وسأله أن يدلّه عليه .. فقال :

— ان كنت تريد شعره فكل شعر قاله إلى الأمس عندي .. وأنا ذاهب اليه غدا فان قال شيئا آخر أتيتك به .

فقال الشيخ : بل أريد أن أراه .

فقال الفتى : إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره .. أطلبه في هذه الصحارى وحدك فإذا رأيته .. فاقرب منه مستأنسا ولا تشعره أنك تنابه .. حتى لا يتوعدك ولا يتهدرك .. وأجلس صارفا بصرك عنه .. وانظر اليه أحيانا .. فإذا رأيته سكن من نفوره فأنشده شعرا غزلا .. وان كنت تروى من شعر قيس بن زريح شيئا فأنشده إياه فانه يسحب به .

فخرج الشيخ وحده يطلب قيسا في الصحراء .. وقضى طوال يومه حتى وجده جالسا على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطا فدنا منه غير منقبض .. فنفر منه نفور الوحش من الأمس .. وإلى جانبه أحجار .. فتناول حجرا



فأعرض الشيخ عنه .. فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام .  
فلما طال جلوس الشيخ سكن قيس وأقبل يخط بأصبعه .. فأقبل الشيخ  
عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حين قال :

ألا يا غراب البين ويحك نبني بعلمك في لبني وأنت خير  
فإن أنت لم تخبر بشيء علمته فلا طرت إلا والجنح كسير

فأقبل قيس على الشيخ وهو يبكي وقال :  
— أحسن والله .. وأنا أحسن منه قولاً حين أقول :

كأن القلب ليلة قيل يُغذى بليلى العامرية أو يُراح  
قطاة عزها شرك فبات تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسك الشيخ عنه برهة .. ثم قال له : وأحسن ابن ذريح حين قال :

وإني لمن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كائن

فبكى قيس حتى ظن الشيخ أن نفسه قد فاضت .. وقد رأى دموعه قد  
بلت الرمل الذي بين يديه .

ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها حتى غاب عن الشيخ ..  
فأنصرف عنه .. وعاد في اليوم التالي يطلبه فلم يجده .

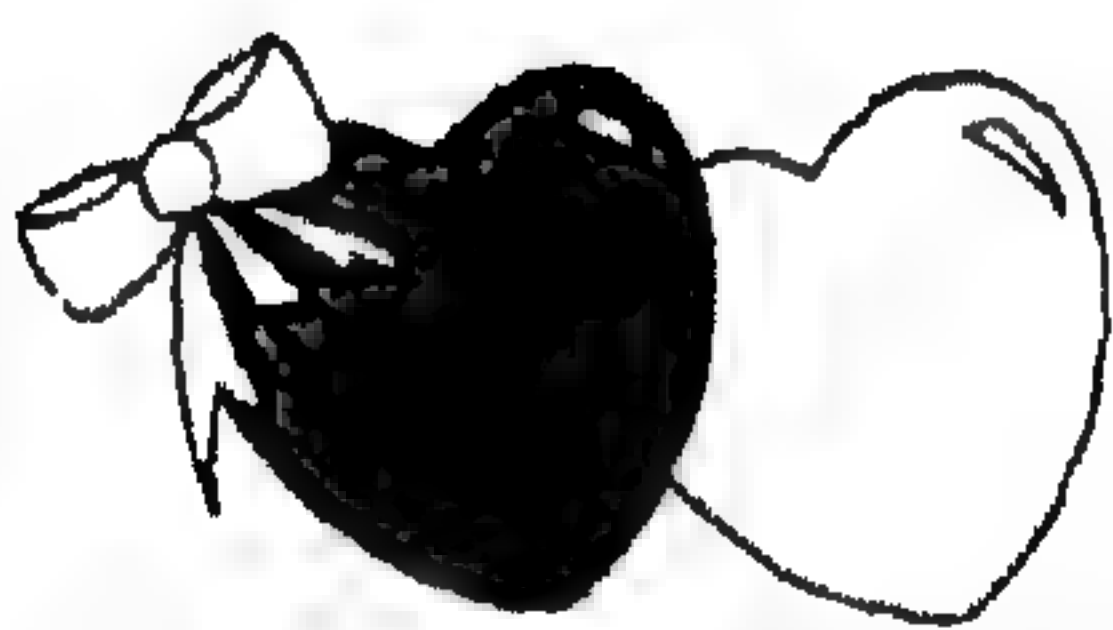
وجاءت امرأة كانت تصنع له طعاما .. فوضعت له طعام الأمس ..  
وفي اليوم الثالث جاء الشيخ ومعه أهل قيس فطلبوه .. فلم يجدوه ..  
وانطلقوا إليه في اليوم الرابع .. وبحثوا عنه حتى وجدوه في واد كثير  
الحجارة خشن وشو ميت بين تلك الحجارة .. فحملة أهله .. ففسادوه  
وكفنوه .. ودفنوه .. واجتمع فتيان الحى .. وفتيات الحى .

ولم تبق فتاة من بني جعدة .. ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة



صارخة عليه تندبه .  
 كما بكى فتیان الحى عليه أحر البكاء .  
 وأقبل حى لیلی معزین . . وأبوها معهم . . فكان أشد القوم جزعا  
 وبكاء على قیس وجعل يقول :  
 — ما علمنا أن الأمر يبلغ به كل هذا . . ولكنى كنت امرأً عربياً أخاف  
 العار وقبح الأحداث ما يخافه مثلى . . فزوجتها . . وخرجت من يدي . .  
 ولو علمت أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتها عن يده . . ولا احتملت  
 ما كان فى ذلك .  
 وكان يوماً لم يشهد العرب مثله بكاء على ميت .  
 وكانت النهاية .  
 نهاية عاشق . . ونهاية قصة عشق مجنونة . . سجلها التاريخ نموذجاً  
 للصدق والوفاء النادر .





قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ  
مَجْنُونُ لَبْنَى







فواكبدي على تسريح لبني  
فكان فراق لبني كالخداع  
تكنفني الوشاة فأزعجون  
فيالمناس للواشي المطاع  
فأصبحت الغداة ألوم نفسي  
على أمر وليس بمستطاع  
كمغبون يعرض على يديه  
تبين غبنه بعد البياع

قيس

ربما كان للجنون درجات وأحوال وهو يتراوح - في اللغة - ما بين  
الإعجاب وزوال العقل ..

والعاشق بطبيعته لا يستقيم على حالة واحدة .. فهي تعلو وتهبط  
وتتذبذب استجابة لحالة المعشوق .. واستجابة لما يبدو عليه جبل الوصل  
بينها من الشد أو الارتخاء .. ومن الهجر أو الإقبال .. ومن الوداع أو  
اللقاء .. وهكذا .

ومن ثم فإنها حالات نفسية لا تظهر العاشق بمظهر العاقل المتزن .. بل  
تدخله إلى دائرة الجنون في أي زاوية من زواياها .  
ونحن الآن نطرق هذه الدائرة من بوابتها الكبيرة .. لتقودنا إلى إحدى  
زواياها حيث نصطحب أحد العشاق المجانين .

إنه قيس بن ذريح بن سُنَّة بن حُذافة من قبيلة كنانة .. وكانت تسكن في  
ضواحي المدينة المنورة .. وهو عاشق الحجاز .. عاصر صديقه عاشق نجد



قيس بن الملوح .

أما معشوقته فهي لبنى بنت الحباب . . من بنى كعب بن خزاعة . . في ضواحي مكة .

وحكايتهما لا يختلف عليها الرواة كثيراً إلا في نهايتها . . وقد أخبرنا الأصبهاني أنه استطاع أن يجمع أطرافها من مشايخه حتى ألف ذلك في حديث متسق ، إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجه عن جملة النظم فذكره على حدة .

كما أجمع الرواة أيضاً أن قيساً كان رضيع الحسين بن علي . . نشأ معا وتربيا معا . . وتوثقت صلتها طوال حياتها .

أما أبو قيس فقد كان ذا ثراء وحسب وفيرين . . وكان يسكن حاضر المدينة وقومه في ظاهرها .

وتبدأ خيوط قصة العاشقين . . لتكون من أكثر القصص ثراء وفنية . . فهي تتضمن الصراع بألوانه المختلفة وأبطاله أيضاً المختلفين . . وهي ترسم شخصيات القصة بدقة متناهية . . وهي تسوق عادات وتقاليد وقها تخص تلك البيئة العربية البدوية ولا تكاد تحيد عنها ، وحينما لعبت الظروف . . وانحرفت العادات والتقاليد عن مسارها قليلاً . . واجهتنا القصة بسلوكيات غريبة بعيدة عن المنطق والعاطفة والمألوف .

## ٢

وتبدأ قصتنا بهذا البيت الذي ولد فيه قيس وحيداً لوالديه . . مما جعله موضع احتفاء وتدليل ورعاية من أمه . . وموضع تقدير ومحبة من أبيه . ويفتح قيس عينيه على هذه الحياة الرغدة . . وهذا الحب الوفير . . وهذه القبيلة ( عُدرة ) التي اشتهرت بالعاطفة المتدفقة . . وجمال النسوة . . وشاعرية الرجال .



ويتفرق على لسانه الشعر .. يصف به جمال الطبيعة وجمال المرأة ..  
 لكنه يحس في داخله دائماً أن المرأة لم تدخل بعد إلى ساحته .. فما زال الشعر  
 مدخراً حتى يجد معشوقته .. فيغرقها شعراً وعشقا .  
 وربما تلعب الأقدار دورها في صنع هذا التواصل بين قلين .. ثم يجتهد  
 العاشقان في وضع منطق لما يحدث .. وحينما يعجزان عن ذلك ..  
 يتركان الساحة للعاطفة المشتعلة تفسر لها ما عجزا عنه .  
 لقد ساق الأقدار قيساً إلى خيام بني كعب بن خزاعة .. وكان الحرق  
 احتدم واشتد .. فاستقى ماءً من إحدى الخيام .. وكانت خيمة لبني بنت  
 الحُبَاب الكعبية .. والعرب مشهورون بالكرم وإبواء الضيف .  
 وبرزت إليه ابنة امرأة مديدة القامة .. بهية الطلعة .. حلوة الكلام ..  
 سهلة النطق .. فناولته الماء .

كان يشعر بالعطش الشديد .. لكنه حينما رآها ازداد عطشه .. ولم يروه  
 الماء .. فقد وقعت في نفسه .. وأضرمت في داخله ناراً لا تهدأ .  
 أما لبني فقد وجدت قيساً قد أجهده السفر والحر .. فعرضت عليه أن  
 يستريح عندهم .. فأجاب كأنه كان ينتظر ذلك منها .. فمهدت له  
 متكاً .. ودعت أباها فرحب به .. ونحر له وأكرمه .  
 ولم يطل مقام قيس لدى لبني .. فقد استراح وشبع .. ولم يجد سبباً في  
 إطالة المقام .. فانصرف شاكراً ذاكراً .. وأحس بعشق لبني يثور داخله  
 ويشتعل .. وحاول إطفاءه دون جدوى .. فتفجر شعراً فيها حتى شاع  
 شعره وتناقله الناس .

ماذا يمكنه أن يفعل الآن وقد ملكت لبني عليه كل شيء ؟  
 وجد نفسه مسوقاً إليها مرة أخرى .. فرآها تزيد حفاوة وكرماً ..  
 فوجد لها فرصة سانحة .. لكي يشكو لها ما يلقي من حبها .. وكاد يجن  
 حينما وجدها أيضاً هي الأخرى تشكو له ما تلقى من حبه .. وأطال



العاشقان شكواهما .. وأدرك كل منهما ماله عند صاحبه .  
 وفجأة يصمتان .. ماذا بهما .  
 إنها يعرفان تماماً ما يحدث للعشاق الشعراء .. ويعرفان تماماً أن العرب  
 لا يسلمون بأن يتزوج الرجل فتاة منهم قد تغزل بها وأنشد فيها الأشعار .  
 لكم الله إذن أيها العاشقان !  
 وهل يمكن أن تلعب الأقدار دوراً آخر يختلف عن كل قصص العشق ..  
 ربما !

### ٣

يودع قيس لبني وفي قلبه شيء عظيم ..  
 إنه ينطلق إلى أبيه الذي يقدره ويحبه .. ويصارحه بما آل إليه حاله من  
 حب لبني .  
 كان أبوه جالساً مستريحاً .. وكان الحوار بينهما يسوده الحب والهدوء !  
 تساءل الأب : من لبني هذه يا بني ؟  
 قال قيس : إنها بنت الحجاب الكعبية يا أبي .  
 ورأى الأب أنه ينبغي أن يتخلى عن راحته .. فولده يريد أن يتمرد على  
 تقاليد القبيلة .. ويتخلى عن بنات عمه إلى فتاة أخرى من قبيلة أخرى .  
 ماذا يفعل .. وليس له غير قيس من الأولاد .  
 رأى أن عليه إقناع ولده بهدوء .  
 قام الرجل من جلسته وضم ولده إليه وأجلسه جانبه وقال مبتسماً :  
 — يا بني لا حاجة لك بفتيات غريبات .. عليك بإحدى بنات عمك  
 فهن أحق بك .  
 قال قيس : لكنني أحب لبني يا أبي .





قال الرجل : أليست بنات عمك أحق بك وبشروقي . . وفيهن أجمل من فتاتك هذه . . انطلق يا قيس . . وعد إلى عقلك . . وفكر فيما قلته لك .  
وينصرف قيس حزينا . . لقد بدأت الأشواك تنبت في طريقه . . لكن لا يزال أمامه أمل . . إن أمه لا تزال تدله . . وتقدم له الحب . . وتحقق له ما يريد . . ولن تخله في هذا الأمر .

أسرع قيس إلى أمه . . وشكا إليها حاله . . واستعان بها على أبيه . . وطال بينهما الحوار . . لكنه انتهى كما انتهى مع أبيه من قبل .  
هل يبقى له معين بعد ؟

ويتذكر قيس صديقه ورضيعة الحسين بن علي بن أبي طالب . . سبط النبي عليه السلام . . إنه من أهل البيت . . ولا بد أن له شأنًا لدى العرب جميعا .

لن يخسر شيئا لو ذهب إليه وطلب منه الوساطة لدى أبيه . . ولدى أبي لبني أيضا .

ويقبل الحسين رضي الله عنه الوساطة . . وينطلق مع قيس إلى أبي لبني . . ولما دخلا عليه رحب بهما . . وأعظم الحسين وقام إليه مرحبا متعجبا :

— خيراً يا ابن رسول الله . . ما جاء بك إلينا . . ألا بعثت إلى فأتيتك أنا .

قال الحسين :

إن الذي جئت فيه يوجب قصدك . . وقد جئتك خاطباً ابتك لبني إلى قيس بن ذريح .

قال الرجل : يا ابن رسول الله . . ما كنا لنعصى لك أمراً . . وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه . . وأن يكون



ذلك عن رضاه .. فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا .

قال الحسين : الحق معك يا أبا لبني .  
وينطلق الحسين إلى ذريح حافيا على حر الرمل .. وكان القوم مجتمعين .. فقام الجميع إليه إعظاما وترحيبا .  
فقال لذريح : أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس  
قال ذريح : السمع والطاعة لأمرك .  
وقام الجميع ومعهم الحسين حتى أتوا لبني فخطبها ذريح على قيس إلى أبيها وزوجه إياها .. وزفت إليه بعد ذلك .



وكان قيس أبر الناس بأمه .. لكن يبدو أن عشقه للبني قد ألهاه عن مواصلة هذا البر .. وأحست أمه بذلك فجعلت تحدث نفسها :  
— لقد شغلت هذه المرأة الغريبة قيساً عن برى ورعايتي ومحبتة لي بالرغم من أنها عاقر لا تلد .. وتثور في داخلها عاطفة الغيرة والانتقام ... فقد استأثرت لبني بوحيدها .. وعزمت على التفريق بينهما بالكيد والمراوغة .  
ويحدث أن يصاب قيس بمرض شديد .. مكث فيه طويلا .. فلما برىء منه دخلت على زوجها ذريح تقول :  
— أرأيت كيف مرض قيس .. لقد خشيت أن يموت وقد حرم الولد من هذه المرأة .. وأنت ذو مال .. ومن حقلك أن تنعم بحفيد يخلد اسمك .  
قال الرجل : ربما تأتينا لبني بولد قريباً .  
قالت أم قيس : إن لها وقتاً لم تنجب فيه .. فكيف تأمل ذلك في الغد .. إنك شيخ كبير .. وأخشى أن يضيع مالك بلا وريث .. فزوج



ولذلك بغيرها لعل الله يرزقه ولداً .

لقد ضربت أم قيس على هذا الوتر الحساس .. لدى زوجها ..  
وأخذت تلح عليه .. وتستخدم كل أسلحتها في إقناعه .. حتى اقتنع .  
وذايت يوم كان ذريح مع قومه مجتمعين .. فدعا ولده .. وقال له :  
— يا قيس .. لقد دعوتك أمام قومك حتى يكونوا شهوداً علينا .. لقد  
أصابتك علة شديدة يا ولدي .. وأنجاك الله منها .. لكنني خفت عليك  
ولا ولد لك وليس لي سواك .. وامراتك هذه ليست ولوداً .. فمن يكون  
وريثي يحفظ لي مالي وبيتي .

قال قيس : وبماذا تشير علي يا أبي .

قال ذريح : تتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقربه  
عينك وأعيتنا .

وهنا صاح قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً يا أبي .

قال ذريح : إن في مالي سعة وكثرة .. فاختر ماشئت من الإماء  
قاطعه قيس : لن أسوءها بشيء من هذا والله .

وتعقد الموقف .. وهمم الجميع .. ولم يجد الأب سوى التهديد ..

قال :

— أقسم عليك أن تطلقها .

فأبى قيس أن يفعل وقال :

— الموت والله أيسر عليّ من هذا ، ولكنني أعرض عليك واحدة من

ثلاث .

قال ذريح : وما هي .

قال قيس : لك أن تتزوج .. فلعل الله أن يرزقك ولداً غيري

قال ذريح : لم يعد لدى ما يحقق ذلك يا ولدي .. فقد بلغت من الكبر

مداه .



قال قيس : إذن دعني أرحل عنك بامرأتى وأريحك منى .  
 قال ذريح : ولا هذه أرضاها .  
 قال قيس : أدع لبنى عندك وأرتحل وحدى لعلى أسلوها .  
 قال ذريح : لا أرضى إذا لم تطلقها .  
 ثم أقسم ذريح إذا لم يفعل قيس ما يريد لا يظللها سقف بيت واحد .



لقد وصل الموقف إلى طريق مسدود . . وعصف ذريح بقلب ولده قيس  
 وقلب لبنى معا . . ماذا يفعل قيس . . وقد أقسم أبوه .  
 ويخرج قيس فى حر الشمس . . ويحيته أبوه ويظلمه بردائه ويصلى هو  
 بالحر حتى يفىء الظل فينصرف عنه . . ثم يدخل قيس إلى لبنى فيعانقها  
 وتعانقه ويتباكيان ويتعاهدان على الوفاء وتقول له :  
 — يا قيس . . لا تطع أباك . . فتهلك وتهلكنى .  
 ويرد قيس : لن أطيع أحداً فيك أبدا .  
 ومكث قيس على هذه الحال سنوات - اختلف فى عددها الرواة -  
 ويجمع القوم على قيس يلومونه ويحذرونه من غضب الله فى الوالدين . .  
 ومازالوا به حتى استسلم وطلق زوجته . . لترحل إلى قومها .  
 ويفيق قيس على ما آل إليه حاله . . لقد فعل ذلك بنفسه . . فى لحظة  
 ضعف واستسلام . . إذن لقد وقعت الواقعة .  
 لقد أفاق يبكى عاطفته وعقله ويندب حظه . . وأخذ يتذكر لبنى وأيامها  
 الحافلة الجميلة . . وكيف تحولت حياته الهائلة السعيدة إلى جزع وندم  
 وأسف على ما اقترف لسانه ويده .  
 ولم يجد أمامه سوى قصائده ييئها دموعه وحسراته :  
 وإنى لمئن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن



وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم بين وهو بائن  
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيك إلا أن ما حان حائن

ويذهب عنه عقله .. ويشتد حنينه إلى لبي .. ويتأمل حاله .. فإذا  
بغراب يسقط قريباً منه جعل ينطق وينطق .. فتطير منه .. وبكى وهو  
ينشد :

لقد نادى الغراب بين لبي فطار القلب من حذر الغراب  
وقال غداً تباعد دار لبي وتناى بعد ود .. واقترب  
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهر سعيك في تباب

ويعيش قيس على الذكرى الأليمة .. حين ارتحلت لبي إلى قومها وهو  
يقف ناظراً إليها حتى غابت عن عينيه وهو لا يفعل شيئاً .. إنه يتذكر هذا  
الموقف ويتذكر بعيرها كيف كان يحملها وأين كان يسير .. فينطلق إلى أثر  
خف البعير وينكب عليه يقبله .. ويرجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها ،  
ويراه قومه وهو يفعل ذلك فيلومونه ويعنفونه على تقبيل التراب .. فيقول :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر من وطىء الترابا  
لقد لاقيت من كلفى بلبي بلاء ما أسيغ به الشرابا  
إذا نادى المنادى باسم لبي عيت فما أطيق له جوابا ..







٦

واشتد الهم على قيس وأصابه هزال وذبول شديدان . . وضاقه  
في وجهه . . فأشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة لعله يسد  
لبنى . . فدعاه إلى ذلك فأجابه قيس :

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن ك  
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى إليها النفس إلا

وكانت لبنى تسمع بوجده وحسراته . . فلا يهنا لها عيش .  
مصيرها ومصيره . . ويجتمع أصدقاء قيس حوله . . ويرقون  
ويعدون أن يخرجوا معه إلى ديار لبنى لعله يحظى برؤيتها . . فمض  
وهو ينشد :

لقد عذبتني يا حب لبنى فقع إما بموت أو  
فإن الموت أروح من حياة تدوم على التباعد و  
وقال الأقربون تعزُّ عنها فقلت لهم إذا حانت

ويصلون إلى ديار لبنى . . فتقع عينه عليها . . ويخر مغشيا  
ليعودوا به مرة أخرى أشد يأساً وحسرة .  
ويشير عليه نفر آخر أن يحج بيت الله الحرام . . لعله يسلوها .  
ورآها هناك فعاوده الحنين والجنون وأخذت دموعه تنهمر . . وعاد  
باكيا مهموما .

ويشير بعض القوم على أبيه أن يدعه يسير في أحياء العرب لعل  
على امرأة تعجبه . . فأقسم أبوه عليه أن يفعل .  
سار قيس في أحياء العرب حتى نزل بحى من فزارة . . فوقع



جارية حسناء قد حسرت برقعها عن وجهها .. ففتن بها وسألها :  
— ما اسمك يا جارية .

قالت : اسمى لبني .  
فسقط غائباً عن وعيه .. فنضحت الجارية عليه الماء ودهشت .. ثم  
قالت :

— إن لم يكن هذا قيس بن ذريح .. إنه لمجنون !  
فأفاق قيس .. وأخبرها بنسبه ..  
فأقسمت عليه أن يأكل من طعامها .. ثم جاء أخوها فرحب به وطلب  
منه أن يقيم لديه .. لإعجابه بحديثه .  
وتنتهى هذه الإقامة بزواج قيس من لبني الفزارية .  
وتبلغ الأخبار معشوقته لبني .. فيصيبها غم شديد وتقول :  
— إنه لغدار ولقد كنت أمتنع عن الزواج من أجله .. فالآن أجيب  
قومي .

وقد كان أبو لبني شكاً قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ..  
فأهدر دمه .. إن فعل .. وأمر أباه أن يزوجه رجلاً يسمى خالد بن  
حلزة من غطفان فزوجه أبوها .. واجتمعت نساء الحى ليلة زفافها  
ينشدن :

لبني زوجها أصبح لا حُرُّ بواديه  
له فضل على الناس بما باتت تناجيه  
وقيس ميت حى .. صريع فى بواكيه  
فلا يبعده الله .. وبعداً لنواعيه

ويدرى قيس بزواج لبني .. صحيح إنه البادىء بالزواج .. لكنه  
لا يطيق أن تكون لبني لغيره .. ولهذا ركب من فوره ضارباً بقرار معاوية



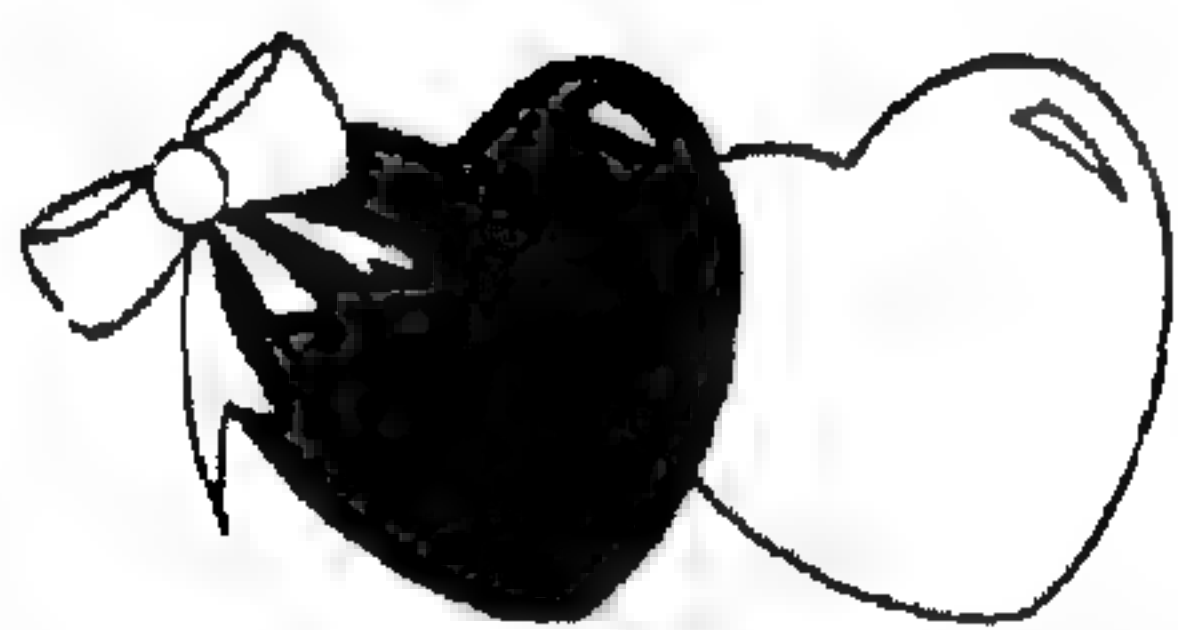
عرض الحائط .. حتى أتى ديارها .. فخرجت إليه النساء وواجهنه :  
 — ماذا تريد يا قيس .. لقد رحلت لبني مع زوجها .  
 وواجهه الفتیان بشيء من هذا وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها  
 فنزل عن راحلته وجعل يتمرغ في موضعها ويمسح بخده تراها وهو يبكي :

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا      إلى الله فقد الوالدين يتيم  
 يتيم جفاه الأقربون فجسمه      نحيل وعهد الوالدين قديم  
 بكت دارهم من نأيم فتهللت      دموعي فأى الجازعين ألوم  
 أمستعبداً يبكي من الشوق والهوى      أم آخر يبكي شجوه ويهيم

## ٧

أما زوج لبني فقد غضب وساءت علاقته معها .. حتى أن لبني طلبت  
 منه الطلاق وتتعدد الأمور .. ويلجأ قيس إلى يزيد بن معاوية ليتوسط له  
 لدى أبيه حتى يوقف أمره السابق بإهدار دمه .. وتنجح وساطة يزيد ويعفو  
 معاوية عن قيس وتكون النهاية التي يختلف فيها الرواة .  
 فممنهم من قال بطلاق لبني من زوجها ليعيدها قيس إلى عصمته ..  
 ولم تنزل معه حتى ماتا .

وممنهم من يقول إنها ماتت قبله فخرج ومعه جماعة من أهله فوقف على  
 قبرها باكياً حتى أغشى عليه .. فحملوه إلى بيته وهو لا يعي شيئاً ..  
 ولم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب حتى مات بعد ثلاثة أيام فدفن إلى جوارها .  
 ومهما كانت النهاية .. فقد جن قيس بلبني .. وسجل في شعره حالات  
 هذا الجنون .. بعد رحلة صراع طويل عاناها العاشق من أجل الوصول إلى  
 معشوقته .. التي هي في عينيه تستحق أكثر من الجنون .



جميل بن مَعمر  
وبشينة







هي البدرُ حسناً والنساء كواكبُ  
 وشتان ما بين الكواكبِ والبدرِ  
 لقد فُضِّلْتُ حُسْناً على الناسِ مثلما  
 على ألف شهرٍ فضلت ليلةُ القدرِ  
 جميل

يمثل القرن الأول الهجري تحولاً خطيراً في المجتمع الإسلامي ..  
 فقد انتقل المجتمع من نظام إلى نظام .. وخرج النظام السياسي من  
 الخلافة الإسلامية إلى الملك الموروث .. ومن الحجاز إلى الشام .. ومن  
 بساطة الحياة الدينية إلى مظاهر الحياة الحضارية التي استقت بعض ملامحها  
 من حضارة الفرس وبقايا حضارة الروم .  
 وتتناثر القبائل هنا وهناك .. وتبرز من بينها قبيلة بني عذرة من قضاة  
 التي تسكن الحجاز بوادي القرى على طريق مصر والشام - تلك القبيلة التي  
 اشتهرت بعشاقها الشعراء .. وبناتها الجميلات .  
 ولقد عاش صاحبنا جميل في القرن الأول الهجري .. في بادية وادي  
 القرى مهد الغزل والعشق .  
 أما جميل فهو ابن عبد الله بن معمر بن الحارث .. وهو شاعر فصيح  
 مقدّم .. جامع للشعر والرواية .. كان راوية هُدبة بن خشرم .. وكان  
 هُدبة شاعراً راوية للحطيئة وكان الحطيئة ، شاعراً راوية لزهير وابنه ..  
 وكان جميل يكنى أبا عمرو .

وكان كثير بن عبدالرحمن ( كثير عزة ) راوية لجميل .  
 أما صاحبة جميل فهي بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن ربيعة .. حيث تلتقى



مع جميل في النسب . . وكانت تكنى أم عبد الملك .  
وقصة هذين العاشقين واحدة من هذه القصص المجنونة التي تنتسب إلى  
بنى عذرة .

ويجمع المؤرخون على أن الجمال والعشق في عذرة كثير . . ومن أخبارهم  
أنه قيل لأعرابي من العذريين :  
— ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنمات ( تذوب ) كما ينمات الملح في  
الماء . . أما تجلّدون ؟

قال : إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون أنتم إليها .  
وقيل لآخر : ممن أنت ؟

فقال : من قوم إذا أحبوا ماتوا !

ف قالت جارية سمعته : عذري ورب الكعبة !

أما انتشار ظاهرة المآسى العذرية في هذه القبيلة فلا يمكن أن يفهم إلا  
على أساس من فهم الظواهر الاجتماعية عامة . . فهي ( عدوى اجتماعية )  
جعلت من هذا الحب بدعاً بين شباب القبيلة يلعب فيه التقليد دوراً كبيراً  
يدفع كل شاب إلى صاحبة له ليُعرف بها كما عرف غيره من شبابها  
بصاحباتهم . . ثم تتدخل الظروف الاجتماعية لتطبع هذا الحب بالطابع  
العذري المعروف .

وقد عبر عن ذلك أحد أبنائها حين ترك الحى بقوله : ثلاثون قد خامرهم  
السّل وما بهم داء إلا الحب !  
وتعتبر مأساة جميل وبشينة من أروع الأمثلة لهذا الحب . . وأدق نموذج  
عرفته البادية .

وإذا كانت مأساة قيس ولبنى - على شهرتها الواسعة - أشد هذه المآسى  
اختلاطاً واضطراباً في أخبارها . . لكثرة ما دخلها من وضع الرواة وتزيّد  
القصاص . . وأوهام السّمار . . فإن قصة جميل وبشينة لم ينلها هذا  
الاختلاط . . ولا تختلف مصادرها كثيراً . . ومن ثم فهي أقرب هذه المآسى



للواقع .. حيث نجت من عبث الرواة والقصاص والسّمار .  
 واشتهر جميل بنسبته إلى بثينة .. لكن قوم جميل كانوا أعز من قوم بثينة  
 وأكثر غنى .. وكان أبوه نفسه ذا مال وفضل وقدر في أهله .  
 ويذكر المؤرخون أن جميلاً كان وسيماً قسيماً طويلاً القامة .. عريض  
 المنكبين متأنق اللبس .

أما بثينة فيقول العقاد :

وصفها جميل بعين المحب ووصفها غيره كما يراها كل من رآها ..  
 فخلص لنا من جملة هذه الصفات أنها كانت أدماء طوالة - كما قال عمر بن  
 أبي ربيعة - وأنها تفرع النساء طولاً - كما قال الرجل الذي حمل إليها نعي  
 جميل -

وكانت - في وصف النساء - حسناء بدوية لم يثقلها ترف الحاضرة ..  
 ولم يعرفها شظف العيش .. فهي رشيقة معتدلة الخلق .. سامقة  
 الخلق .. مستحبة الملامح لمن يراها .. مفتونا بها أو غير مفتون .

## ٢

ماذا عن هذين العاشقين .. وماذا عن مأساتها .  
 إن فصول المأساة تبدأ بحادث عابر .. تتفجر منه كل الروافد العاطفية  
 حتى نهاية المدى .

كان الفتى جميل في أول عهده بالعشق يهوى ( أم الجسير ) أخت بثينة  
 الكبرى .

و ذات يوم أقبل جميل بإبله حتى أوردتها وادياً يقال له ( وادي بغيض )  
 فأسلم الفتى نفسه للراحة قليلاً تاركاً إبله ترعى كما تشاء .  
 وكان يقطن في طرف هذا الوادي قوم بثينة .

وتصادف في هذا اليوم أن خرجت الفتاة بصحبة جارة لها .. تردان  
 الماء .. فمرتتا على بعض من إبل جميل .. فنفرته .



وشق ذلك على الفتى .. فقام من ضجعته إلى بثينة .. تلك الفتاة  
الصغيرة التي خالها حمقاء .. فعنفها على سلوكها .. وسبها .. فردت عليه  
سبه بسب آخر .. وغالت فيه .  
وأدرك جميل كم هي رقيقة تلك الفتاة .. وكم هو مليح سبابها .. ف شعر  
بسهم الحب ينفذ إلى عمق قلبه .. فأحب سبابها .. وعلق بها .  
أية عاطفة طاغية تلك التي تقيمها الإساءة والحرمان والسباب !  
وكان قلبه كان يفتح في شوق جارف لعاطفة تملؤه .  
وينصرف جميل عن أم الجسير إلى أختها الجميلة بثينة .. وفي ذلك  
يقول :

وأول ما قاد المودة بيننا      بوادى بغيض يا بشين سبابُ  
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله      لكل كلام يا بشين جوابُ  
ترى أى سباب ذلك الذى عرف طريقه بلون آخر إلى قلب جميل .. إنه  
كما يعترف جميل :

ولست علي بذل الصفاء هويتها      ولكن سبتي بالدلال مع البخل  
بدت بدوة لما استقلت حمولها      بيثنة بين الجرف والحاج والنخل

وتبدأ بذلك أول سطور قصة العشق بين جميل وبثينة .. ونتابع الفصول  
يوماً بعد يوم حتى ينسى المؤرخون نسب جميل .. ويذكروا فقط اسمه  
مقرونا بمعشوقته بثينة .







ويوقف جميل شعره وحياته على بثينة .  
ويجتمع إليه أصدقاؤه يثيرون شجنه وعواطفه . . ويسألونه : كيف يرى  
بثينة . . وكيف ينسب بها . . فيرد عليهم :

ولاني لأرضى من بثينة بالذى      لو ابصره الواشى لقرت بلابله  
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى      وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى      أواخره . . لا نلتقى وأوائله

ويسرع إلى بثينة من يخبرها بأن جميلاً قد نسب بها .  
كان من الممكن أن يحسب جميل حساب التقاليد العربية التي تحرم  
النسب . . وقول الشعر في النساء . . فهي تقضى بالتفريق بين العاشق  
ومعشوقته إذا هو تجراً وفضحها .

وتقضى التقاليد أيضاً أن ترضخ الفتاة لرأى أبيها أو عشيرتها حينما تتخذ  
قرارها في التفريق بينها وبين من ينسب بها .  
لكن ما حدث في قصة هذين العاشقين كان مختلفاً .  
فحينما أخبرت بثينة أن جميلاً قد نسب بها . . حلفت بالله لا يأتيها على  
خلاء إلا خرجت إليه . . ولا تتوارى منه .

أى تحد وجنون وجسارة تلك التى اتحدت فى قلب وعزيمة بثينة . .  
لقد سمحت لجميل أن يأتيها عند غفلات الرجال . . فيتحدث إليها  
ومع أخواتها .

وكان لابد أن يشيع أمر العاشقين بعد أن تناقلت الألسن شعر جميل حتى  
بلغ رجال عذرة ما كان يحدث من لقاء بينهما .  
ويثور الرجال ويغارون على بنت عشيرتهم . . ويجمعون ويرأسهم  
عبيد الله بن قطبة .

ويترصده في مواعده بجماعة من بضعة عشر رجلاً . .





ويقبل جميل في مواعده .. راكبا ناقته .. حتى وقف على باب بثينة وأم  
الجسير .. وهما يحدثانه وهو ينشدهما شعره .. والقوم عن قرب ينصتون :

حلفتُ برب الراقصات إلى منى      هوى القطا يجتزن بطن دفين  
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا      سليمي ولا أم الجسير حين  
فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي      وهموا بقتل يابسين لقوف

وتشور دماء القوم المترصدين .. فيثبون عليه .. ويرميهم بناقته .. فتسبق به  
وهو يقول :

إذا جمع الاثنان جمعاً رميتهم بأركانها حتى تُخلى سبيلها

فكان هذا أول سبب المهاجاة بينه وبين عبيد الله بن قطبة .  
ويدرك العاشقان أن الأسوار بدأت ترتفع .. والأشواك تتناثر في  
طريقهما .. وأحس جميل مدى الصعوبة في تلاقيهما .. فقد بدأ مواعده معها  
في إخلاف متواصل .. مما ضاعف الشوق والوجد والجنون بداخله .  
ونلاحظ أن شعر جميل في معظمه بث للشكوى والمرارة .. لكثرة ما حيل  
بينه وبين بثينة حتى نجده يجاهر بأمنيته ولومرة واحدة .

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة      بوادي القرى .. إلى إذن لسعيد  
وهل ألقين فرداً بثينة مرة      تجود لنا من ودها .. ونجود  
وقد تلتقى الأشتات بعد تفرق      وقد تدرك الحاجات وهي بعيد  
يقولون جاهد يا جميل بغزوة      وأي جهاد غيرهن أريد





لكن جميلاً يحب على حرمان .. ومن شأن المحب دائماً أن يسوقه جنونه  
وإخلاصه إلى التماس العذر لمحبوبه .  
لقد وجد جميل لبثينة أعذاراً في كل مناسبة .. ومن شأن هذه الأعذار أن  
تبعد عن نفسه البغض والغضب .. وتجعله يحيا حياة الوهم الجميل ..  
حياة المناجاة العميقة الحلوة الممزوجة باللوم الرقيق .

إذا قلت مابى يابثينة قاتلى من الحب قالت : ثابت ويزيدُ  
وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به مع الناس قالت : ذاك منك بعيد

لكنه لا يفقد الأمل .. بل يتوهم كل شيء حسن .. يتوهم اللقاء ..  
ويتوهم الحديث والحوار ، ويحاول ذلك جميل مرة ومرة ومرات ومرات حتى  
يلتقيا .

لقد استطاع الواشون أن يلعبوا دورهم ويحاولوا الإيقاع بين العاشق  
والمعشوق وجميل لا يدرى من ذلك شيئاً .

ويحدث أن يلتقيا .. فتواجهه بثينة :  
— ويحك يا جميل .. أتزعم أنك تهوانى .. وأنت الذى تقول :  
رمى الله فى عيني بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالفواحش  
وينحرق قلب جميل .. ويسرع فى دقاته .. فيطرق طويلاً ويبكى بكاء مراراً  
ثم يقول :

ألا ليتنى أعمى أصم. تقودنى بثينة .. لا يخفى على كلامها

ومرة قال جميل لكثير .. خذ لى موعداً من بثينة .

فقال كثير: هل بينك وبينها علامة .

فقال جميل : عهدى بها وهم بوادى الدوم .. أن تجد أباهاً قعداً

بالفناء .. فسلم عليه .. ثم أنشده .



وينطلق كثير إلى وادى الدوم .. فسلم على أبيها وأنشده :

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي      إليك رسولاً والموكل مرسل  
بأن تجعلى بينى وبينك موعداً      وأن تأمرينى ما الذى فيه أفعل  
وآخر عهدى منك يوم لقيتنى      بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

وهنا ضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخساً اخساً ..

فقال أبوها مندهشاً أمرها : مَهَيْمُ يا بثينة - أى ماذا بك -

قالت : كلب يأتينا إذا نؤم الناس من وراء الراية ..

ثم قالت بثينة للجارية : احضرى حطباً لنشوى شاة لكثير .

فقال كثير : أنا أعجل من ذلك .

وانطلق كثير إلى جميل فأخبره بالأمر ..

فقال جميل : إن الموعد الدومات .. وسأراها إذا نام الناس خلف

الراية .

#### ٤

لم يكن أمام جميل إلا أن يذهب لخطبة بثينة .

لكن كيف يرضى أبوها وقد فضح ابنته .. وكان الرفض ورده خائباً ..

وزوجها من فتى منهم يقال له نبيه بن الأسود العذرى ..

ووجدوها جميل فرفضة للنيل من قوم بثينة .. فقومه أعزّ منهم .

ولو أن ألفاً دون بثنة كلهم      غبارى وكل حارب مززع قتلى

لحاولتها إما نهاراً مجاهراً      وإما سرى ليل ولو قطعت رجلى

فلا تقتلينى يا بثين ولم أصب      من الأمر ما فيه يحل لكم قتلى

وأخذ يسخر مما فعله قوم بثينة .. وهزأ بهم .. وكله عشق وجنون

بحبيته :



فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي      وهما يقتلى يا بشين .. لقوني  
إذا ما رأوني طالعاً من ثنية      يقولون : من هذا وقد عرفوني  
يقولون لي : أهلاً وسهلاً ومرحباً      ولو ظفروا بي خاليا قتلوني

وكان في قوم بثينة واحد يقال له جواس .. أخذ يهجو جميلاً .. ويذكر  
بسوء أختاً له .

وكان جميل قبل ذلك يحقر جواساً ولا يأبه له .. فغضب جميل لذلك ..  
وواعد جواساً بالمراجعة .

ووصف أحد آل العباس بن سهل يوم المراجعة فقال :  
قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني بُرداً - وكان ذلك  
البرد أفضل جائزتي - فنزلت وادى القرى .. فوافقت الجمعة بها  
فاستخرجت بردى الذى منى عند عبد الملك وقلت أصلى مع الناس ..  
فلقينى جميل - وكان صديقاً لى - فسلم بعضنا على بعض وتساءلنا ثم  
اُفترقنا .. فلما أمسيت إذا هو أتانى فى رجلي فقال : البرد الذى رأيته عليك  
تعيّزنيه حتى أتجمل به فإن بينى وبين جواس مراجعة .. وتحضر فتسمع ..  
قلت : لا .. بل هولك كسوة .. وكسوته إياه .. وقلت لأصحابي :  
ما من شيء أحب إلى من أن أسمع مراجزتهما .

فلما أصبحنا جعل الأعراب يأتون متتابعين حتى اجتمع منهم بشر  
كثير .. وحضرت وأصحابي فإذا بجميل قد جاء رجليه حلتان ما رأيت  
مثلها على أحد قط .. وإذا بردى الذى كسوته إياه قد جعله لباساً  
لجملة .. فتراجز جميل وجواس - وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك - فقال :

يا أم عبد الملك اصرمينى  
فبيّنى صرمى أوصلينى  
أبكى وما يدريك ما يبكي





أبكي حذار أن تفارقيني  
وتجعلى أبعد منى دونى  
إن بنى عمك أوعسدونى  
أن يقطعوا رأسى إذا لقونى  
ويقتلونى ثم لا يودنى  
قد جربونى ثم جربونى  
فإننى رام لمن يرمىنى  
أنا جميل فتعرفونى  
وما تقنعت فتكرونى

ولم يحل زواج بشينة دون إصرار جميل على لقاءها .. وظلت العلاقة بينهما  
كما كانت من قبل .. يزورها سرا في غفلة زوجها .. أو يلتقيان خارج  
البيت في الخلاء .. وما بينهما سوى الطهر والعفاف .  
وشكا أهلها إلى أهله .. وحدثه هو في أمرها كثيرون فكان يجيب بأنه  
لا يستطيع أن يسلوها أو يبتعد عنها .. وشكا القوم إلى السلطان فأهدر  
دمه .

وسار بعض القوم إلى أبيه يشكون جيلا .. وناشدوه الله والرحم وسألوه  
كف ولده ومنعه عما يتعرض له ويفضحهم في فتاتهم .. فوعدهم بذلك  
وانصرفوا .

ويجلس الأب حائراً .. كيف يستطيع أن يمنع ولده عما يحبه ..  
ويعشقه .. وإذا استطاع وفعل .. فلا خير في بقية حياة ولده .. ولا بد أن  
الهلاك سوف يلحقه .

ثم كيف له أن يرضى قوم بشينة ولا يتسبب في قطع ما بينهما من صلات  
طيبة .

ريستدعى الأب ولده .. ويواجهه بالأمر قائلاً :





— يا بني .. حتى متى وأنت ممعن في ضلالك .. ألا تأنف من أن تتعلق  
 بامرأة يخلو بها زوجها وينكحها .. وأنت عنها بمعزل .. ثم تقوم من تحته  
 إليك فتغريك بخداعها .. وتوهمك بالصفاء والمودة .. وهي مضمرة لبعْلِها  
 ما تضمّره الحرة لمن ملكها .. فيكون قولها لك تعليلًا وغرورًا .. فإذا  
 انصرفت عنها عادت إلى بعْلِها على حالتها المبذولة .. إن هذا لذل وضميم  
 يا ولدي .. وما أعرف أخيب سمهاً ولا أضيع عمراً منك .  
 أناشدك الله إلا كففت وتأمّلت أمرك .. فإنك تعلم أن ما قلته الحق ..  
 ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها .. ولكن هذا أمر قد فات ..  
 واستبد به من قدر له وفي النساء عِوض .. هن كثيرات .  
 فقال جميل : الرأي ما أريت يا أبي .. والقول كما قلت .. فهل رأيت  
 قبلي أحداً استطاع أن يدفع قلبه هواه .. أو ملك أن يسلي نفسه .. أو  
 استطاع أن يدفع ما قضى عليه .. والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي  
 أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت .. ولكن لا سبيل إلى ذلك .. وإنما هو  
 بلاء بليت به حين قد أتيح لي .. وأنا أمتنع من الذهاب إلى هذا الحى ..  
 والإلمام بهم ولومت كمدا .. وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه ..  
 وقام جميل وهو يبكي .. فبكى أبوه لبكائه جزعاً لما رآه منه ..  
 ويحاول جميل أن يسلوها :

فياقلب دع ذكرى بشينة إنها وإن كنت تهواها تضرّ وتبخلُ  
 وقد أياست من نيلها وتجهمت وللأس إن لم يقدر النيل أمثل  
 وكيف ترجى وصلها بعد بُعدها وقد جُدَّ حبل الوصل مما تؤمل

وعزم جميل على الخروج إلى الشام .. لكنه هجم في الطريق على بشينة  
 وقد وجد غفلة من القوم .. فقالت له :

— أهلكني والله وأهلك نفسك .. ويحك .. أما تخاف ؟  
 قال لها : هذا وجهي إلى الشام إنما جئتُك مودعا ..



فحادثها طويلاً ثم ودعها وقال : يا بثينة .. ما أرانا نلتقى بعد هذا ..  
وبكيا طويلاً .

ويعود مرة أخرى .. ويشعر أن والى بنى أمية لا يزال يهدر دمه فيفر إلى  
اليمن .. حيث أخواله .. ويظل مقيماً عندهم حتى عُزل الوالى فعاد إلى  
قومه ليجد قوم بثينة قد رحلوا إلى الشام .



ويظل العاشق المجنون يطارد محبوبته هنا وهناك .. وهى مطاردة لا تنم  
عن عقل ولا تفكير .. وإنما هى إحدى نوبات الجنون حين تتملك عاشقاً  
فقد توازنه .

إنها مطاردة بلا أمل .. فقد فرقت بينهما الحياة .  
وتضيق به الدنيا .. وكان يصعد بالليل على ربوة عالية .. يتنسم الريح  
القادمة من نحو بثينة ويقول :

ألا ريح الشمال أما ترينى      أهيم وأنى بى بادهى النحول  
هبي لى نسمة من ريح بشن      ومنى بالهبوب إلى جميل  
وقولى يا بثينة حسب نفسى      قليلك أو أقل من القليل

ويجلس جميل هادئاً متأملاً يذكر تلك الأيام التى كانا يلتقيان فيها  
خلسة .. وفجأة يتنسم بينه وبين نفسه .  
لماذا تبتسم أيها العاشق المكدود .

لقد تذكر حينما ائتمن رهط بثينة عليها عجوزاً منهم يثقون بها .. يقال  
لها أم منظور .. فجاءها جميل وقال لها : يا أم منظور .. أرينى بثينة ..  
ف قالت : لا .. والله لا أفعل .. قد ائتمنوني عليها .  
فقال : أما والله لأضربنك .

ف قالت : المصرة والله فى أن أريكها .. فخرج من عندها وهو يقول :



ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت      بالحجر يوم جلتها أم منظور  
ولا انسلابتها خرساً جبائرها      إلى من ساقط الأوراق مستور

فبلغ هذان البيتان قوم بشينة .. فأقبلوا على أم منظور فحلفت لهم بكل  
يمين فلم يصدقوها .  
لم يعد أمام جميل إلا التعزى بالذكرى القديمة .. وقرر أن يترك كل شيء  
ويشد رحاله إلى مصر لعلها تكون نهاية المطاف .  
وظل قلبه يبكي بأشعاره :

ألا ليت أيام الصفاء جديد      ودهراً تولى يابشين يعود  
فنغنى كما كنا نكون وأنتم      صديق وإذ ماتبذلين زهيد  
وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسه      وقد تطلب الحاجات وهى بعيد

لكن القدر لم يحقق لجميل ما تمنى .. فلم تلتق الأهواء بعد يأس ..  
ولم تدرك الحاجات على البعد .  
لم تطل أيام جميل بمصر .. فقد أخذ النور يخبو .. وأحس أن الستار  
الأخير سوف يسدل عليه .. ماذا يفعل .  
لقد دعا رجلاً صديقاً له وقال :

— هل لك فى أن أعطيك كل ما أملكه على أن تفعل شيئاً لى ..  
قال له الرجل : لك ما تشاء يا جميل .  
قال جميل : إذا مت خذ حلتى هذه فى حقيقتى فاعزها جانباً ثم كل شيء  
سواها لك .. وارجل إلى قوم بنى الأحب من عذرة - وهو قوم بشينة - فإذا  
صرت إليهم فاركب ناقتى ثم ألبس حلتى هذه واشققها ثم اصعد مرتفعاً من  
الأرض .. وصح بهذه الأبيات :

بكر النعى - وما كنى - بجميل      وثوى بمصر ثواء غير قفول



بكر النعى بفارس ذى همة      بطل إذا حمل اللواء مديل  
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى      نشوان بين مزارع ونخيل  
قومى بشينة فاندبى بعويل      وابكى خليلك دون كل خليل

فلما قضى جميل .. أتى الرجل قوم بشينة وفعل ما أوصاه به جميل .. فلما  
أتم الأبيات .. برزت إليه امرأة - وهي بشينة - يتبعها نسوة قد بزتهن طولاً  
وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برزت فى دجنة .. وهي تتعثر فى كسائها حتى أتت  
الرجل .. فقال :

— يا هذا .. لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى .. ولئن كنت كاذباً لقد  
فضحتنى !

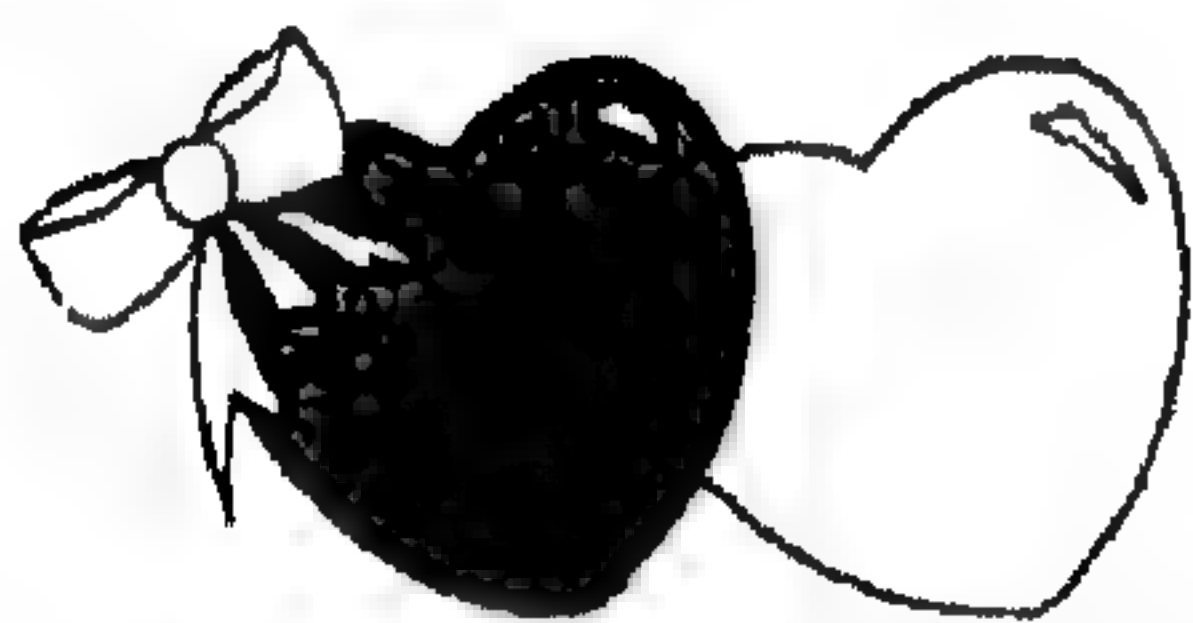
قال : والله ما أنا إلا صادق ..

وأخرج الرجل حلة جميل فلما رأتها بشينة صاحت بأعلى صوتها وصكت  
وجهها .. واجتمع نساء الحى ييكن معها ويندبنه حتى صعقت .. فمكثت  
مغشياً عليها ساعة .. ثم قامت وهي تقول :

وإن سلوى عن جميل لَساعةٌ      من الدهر ما حانت ولا حان حينها  
سواء علينا يا جميل بن معمر      إذا مت بأساء الحياة .. ولينها

فلم ير يوم كان أكثر بكاء منه .

وهكذا تغلق الصفحة الأخيرة فى هذه المأساة .. عاشقان كتب عليهما  
قدرهما أن يعيشا على وجد ومرارة وشوق جارف .. ويموت العاشق بعيداً  
عن وطنه .. وتحبى المعشوقة فى كمد وحزن ووحشة .. تجتر ذكرياتها  
القديمة حتى طوقتها رمال عذرة بعد موت حبيبها بقليل .. ليلتقيا فى جنة  
العاشقين المجانين التى لا تعرف الفراق مهما بعدت بينها المسافة .



كثير بن عبد الرحمن  
مجنون .. عزة

---







خليلٍ هذا ربع عزة فاعقلا  
 قُلُوصِيكَا ثم ابكيا حيث حَلَّتْ  
 وما كنت أدري قبل عزة ما البكا  
 ولا موجعات القلب حتى تولت  
 كثير

١

عجيب أمر هذا الشاعر العاشق . . كثير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة  
 الخزاعي . . فهو يختلف عن أصدقائه الشعراء العشاق . . بولائه السياسي  
 المتعصب للشيعة .

وكان كثير ومعه الكميت يتقدمان شعراء الشيعة . . فكثير كان يلتزم  
 عقيدة الكيسانية بكل ما تميزت به من تطرف وإيغال في العقيدة الشيعية . .  
 أما الكميت فكان ينحاز إلى عقيدة الزيدية بكل أصولها المذهبية .  
 ولقد لعب كثير دوراً خطيراً في جانب العقيدة الشيعية . . حتى إن كثيراً  
 من مؤرخي الأدب اتهمه بأنه كان يعاني أحد الأمراض العصابية الناتجة عن  
 انعدام التكامل في شخصيته فلجأ إلى التعصب والاختلاف حتى يرقى إلى  
 مستوى الشهرة . . ويسد بعضاً من نواحي النقص الشخصية التي مني بها  
 منذ صغره .

فقد وصفه معاصروه بأنه كان دميماً قصيراً ، حتى لقد ذكر بعض الرواة  
 أنه رآه يطوف بالكعبة وأنه لا يزيد على ثلاثة أشبار . . ومن ثم كان يلقي  
 سخرية الناس .



ويذكر أبو الفرج في الأغاني أنه كان إذا دخل على عبدالعزيز بن مروان قال له : طأطأ رأسك لا يصيبك السقف . . سخرية منه وتهكما بقصره .  
 وكان يواجه سخرية الناس بالتعالى والترفع . . ويقول :  
 وإن أك قصداً في الرجال فإنني إذا حل أمر ساحتى الطويل  
 وكان ابن أبي عبيدة يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً . . وسئل عمه  
 مصعب : من أشعر الناس . . قال : كثير بن أبي جمعة . . وقال : هو أشعر  
 من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم ( يعنى الشعراء ) . . ولم يدرك أحد  
 في مديح الملوك ما أدرك كثير .  
 ويضعه ابن سلام في الشعراء الفحول . . وهو لديه شاعر أهل الحجاز .  
 وكان كثير يوغل في تشيعه حتى إنه كان يزعم أن محمد بن الحنفية  
 لم يميت . . وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقوله تعالى ( في أى صورة  
 ما شاء ركبك ) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة إلى صورة .  
 ويذكر أنه كان يدخل على عمه له فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها  
 فقال لها يوما : لا والله لا تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي .  
 فقالت : بلى والله إنى أعرفك  
 فقال : فمن أنا إذن . .  
 قالت : ابن فلان وابن فلانة . . وجعلت تمدهح أباه وأمه . . فقال :  
 — قد عرفت أنك لا تعرفيني  
 قالت : فمن أنت إذن  
 قال : أنا يونس بن متى . .  
 وكان يرى أن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر وكان يتباهى بصلته به . .  
 وسؤاله عنه ويقول :

أقر الله عيني إذ دعاني أمين الله يلطف في السؤال



وأثنى في هوى على خيرا ويسأل عن بني وكيف حال  
هوالمهدي خبرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالى

ن كثير عاقاً لأبيه . . وكان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع  
.. فقال له كثير : أتدرى لم أصابتك هذه القرحة . . قال : لا أدري .  
قال : مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة .

ومرة قال عبدالملك بن مروان لكثير : من أشعر الناس اليوم  
يا أبا صخر . . قال : من يروى أمير المؤمنين شعره . . فقال عبدالملك : أما  
إنك لمنهم . . .

وكان عبدالملك كثير الرواية لشعر كثير . . وقد سأله يوماً كثير : كيف  
ترى شعري يا أمير المؤمنين . . قال : أراه يسبق السحر . . ويغلب  
الشعر .

وإمعاناً في المغالاة والتوهم . . يروى كثير حكايته عن بداية الشعر حين  
قال :

ما قلت الشعر حتى قوَّلتُ . .

قيل له : وكيف ذلك

قال : بينما أنا يوماً نصف النهار . . أسير على بعير لي في بقاع حمدان . .  
إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جانبي . . فتأملته . . فإذا هو من  
النحاس وهو يجر نفسه في الأرض جراً . . فقال لي : قل الشعر . . وألقاه  
على . .

قلت : من أنت . . قال : أنا قرينك من الجن . . فقلت الشعر !  
ويبدو أن بني مروان كانوا يعلمون أن كثيراً أحق وأنه كان من أتية الناس  
وأذهبهم بنفسه على كل أحد ، ولهذا . . ولأنه كان حاقداً على أعداء إمامه



وأعداء الأمويين من بنى الزبير . . فلأنهم لم يعبأوا بتشجيع رجل أحق مادام  
ينيلهم مدحه . . وينال أعداءهم بهجائه . . وترى أنهم كانوا لا يجدون في  
تشجيعه ضرراً ولا يرتابون فيه ولا يعتقدون أن له خطراً .  
على هذا التصور كانت علاقة كثير بعبد الملك علاقة المصلحة المشتركة  
التي يجدها كل منها في الآخر والتي لا تضر بإيمان كثير بعقيدته . . ولا تضر  
عبد الملك نفسه . .

وحسبنا من هذه المواقف والأخبار أن نجسد صورة كثير في مجتمع  
متناقض . . يظهر أفراده غير ما يبطنون . . وتقوم العلاقات فيه على أساليب  
ومصالح لا تخضع إلى منطق صادق . . وإنما يسوقها منطق العصر  
والصراعات والصوت العالي والشهرة الزائفة .

وكأننا بكثير بن عبد الرحمن وقد لاطمته أمواج البحر العاتية في الساحة  
السياسية بحثاً عن أمر آخر يمكن أن يخلده - صادقاً - على مدى التاريخ . .  
بعيداً عن المديح والهجاء والخوض في المتاهات الفكرية التي تزج به - غصباً -  
إلى أتون السياسة .

فكانت علاقته بعزة . . عاشقاً . . مثالياً . . مجنوناً .







من العجيب أيضا أن يلتصق اسم عزة باسم كثير .. وكأن العشق  
 - يامولاي - سيد المواقف .. وسيد الأوجاع أيضا ..  
 لا يكاد يذكر كثير حتى يقرن اسمه باسم عزة .  
 ولا يكاد يذكر العشاق العذريون المجانين .. حتى يذكر كثير في سياقهم  
 وفي مقدمتهم .. غافلين تشيعه .. ومدائحهم .. ومواقفه .  
 ولعل علماء النفس المعاصرين حين يدرسون شخصيته .. أن يتأكدوا من  
 هذا التحول الذي طغى على محاولاته الأولى لمواجهة سخرية الناس من  
 نقائصه .  
 والآن .. أكان كثير حقًا يقصد أو يعي عشقه بعزة حتى يحقق لنفسه  
 مكانة مرموقة على المستوى الشعري والاجتماعي .  
 إن كثيرا من المؤرخين اهتموه بعدم الصدق في عاطفته .. ورووا عن  
 ذلك ما يؤيد ويدل على ذلك .  
 وما يعيننا الآن أن نروى سيرة عشقه .. ثم نترك الحكم لحاستنا الصادقة  
 تحكم عليه بالصدق أو النفاق .  
 وكما تبدأ قصص العشق المجنونة بموقف ما .. كانت بداية قصة كثير  
 وعزة .  
 فقد مر كثير ذات يوم بنسوة من بني ضَمرة ومعه قطع غنم ..  
 فاندَهشت النسوة .. وأردن أن يسألن كثير شيئا .. فأرسلن إليه عزة  
 - وهي بعد صبية صغيرة - فأسرعت إليه تعبت الريح بأثوابها .. وابتدرته  
 وهي تلهث :  
 — تقول لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم .. وسوف نؤدى لك ثمنه  
 حينما ترجع مرة أخرى .  
 فأعجب كثير برقة عزة .. وأعطاهما الكبش .. ووقعت هي من قلبه



موقعاً عظيماً .

فلما ذهب .. وعاد مرة أخرى .. جاءت واحدة من النسوة بثمرن الكبش فقال لها :

— أين الصبية التي أخذت مني الكبش .  
 قالت : وما تصنع بها .. هذه دراهمك ثمنا لكبشك !  
 فقال : لا آخذ دراهمي إلا ممن أخذت مني كبشى .  
 وانصرف عن المرأة وهو يقول :

قضى كل ذي دين فوق غريمها وعزة ممطول معنى غريمها

وهنا اجتمعت النسوة وقلن له : أبيت إلا عزة ؟  
 قال : نعم .

فأبرزنها له وهي كارهة .

ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها .  
 أما عزة فهي بنت حميل بن وقاص بن حبيب بن غفار - والعزة - لغويا -  
 هي بنت الظبية - وكنيتها أم عمرو .. وكان يطلق عليها أيضا الحاجبية نسبة  
 إلى جدها الأعلى .

تلك كانت الورقة الأولى في قصة كثير العاشق .. فهل كانت عزة  
 تستحق هذا العشق .. وهل كان كثير في عين عزة هذا المعشوق المتفرد .  
 ويحلو للقدماء أن يقارنوا بين كثير وجميل في عشقهما .. فبعض منهم  
 يقول : إن جميلاً كان أصدق وأخلص وأجن .. وأن كثيراً كان يتقول  
 ولم يكن عاشقاً بل شغلته حياته ومواقفه عن ذلك .

وهذه حكاية تروىها قسيمة الأسلمية وكنيتها أم البنين .. قالت :  
 أقبلت علينا عزة في جماعة من قومها .. واجتمعت في لقائها جماعة من



نساء الحاضر أنا فيهن .  
 فجئناها .. فرأيناها امرأة حلوة بيضاء نظيفة .. فتضاءلنا لها .  
 وكانت تصحبها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق .. إلى  
 أن تحدثت عزة ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلام حديثا .. فما فارقناها  
 إلا ولها علينا الفضل في أعيننا .. وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالا ..  
 وحسنا .. وحلاوة .  
 وهذه شهادة تجيء من امرأة .. وليست من رجل .. وحينما تصف امرأة  
 امرأة أخرى بهذا الوصف .. فهي صادقة .. ليس فيها مصانعة أو تزييف أو  
 مبالغة .  
 وقد مر بنا ما كان عليه كثير من القبح والقصر والدمامة .. ولولا أنه كان  
 شاعراً أو عاشقاً .. مذكّره التاريخ .. وما أفسح له في ذاكرته .

### ٣

وكما تحدث في قصص العشق .. يشب كثير بعزة .. ويذيع ذلك بين  
 العرب ويحال بينه وبينها .. ويتزوجها رجل آخر .  
 لكن كثير كان يتبعها كظلها .. ولم يتوقف عن قول الشعر فيها رغم  
 زواجها ورحيلها الدائم مع زوجها .  
 ويوما أدخلت عزة على عاتكة بنت يزيد فقالت لها : أرأيت قول كثير :  
 قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة مطول معنى غريمها

ما هذا الذي ذكره يا عزة .  
 قالت : قبله وعدته إياها .  
 قالت : أنجزها وعلى إثمها .



ويهدد قوم عزة كثيراً . . ويقبل عليه بعض من أصدقائه لعله يثوب إلى  
رشدته تاركاً حب عزة فلا يزيد على قوله :

يزهدني في حب عزة معشر      قلوبهم فيها مخالفة قلبي  
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى      فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب  
وما تبصر العينان في موضع الهوى      ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

ولأن العاشق دائماً يهيمه أن يكون لمعشوقته ملاذاً وحماية وخلصاً لها في أي  
مأزق فقد حاول كثير أن يفعل ذلك مراراً رغبة منه في جذب عاطفة عزة إليه  
أكثر .

وقد كان لكثير غلام تاجر . . وحدث أنه باع عزة بعض سلعه . . لكنها  
ماطلته في سداد ما عليها . . وهو لا يعرف ما بينها وبين سيده كثير .  
فقال الغلام يوماً لها : لأنت والله كما قال سيدي :  
قضى كل ذي دين فوفى غريمه      وعزة ممطول معنى غريمها  
فانصرفت عزة عن الغلام في خجل شديد .  
وهنا قالت امرأة للغلام : ألا تعرف يا أحمق من تكون عزة . .  
قال : لا والله .

ثم صحا الغلام من غفلته وقال :  
— من أجل مولاي لا آخذ منها شيئاً ولا اقتضيها .  
ورجع إلى كثير يخبره بالخبر . . فماذا فعل معه كثير . . وماذا يفعل من  
أجل عزة . . لقد اعتق الغلام ووهب له مالاً كثيراً .  
ولم يكن يذوق النوم حتى يعرف شيئاً عن عزة . . أو يتناقل خبراً عنها . .  
ولا يهيمه في ذلك أنها امرأة متزوجة .

ومرة عرف كثير أن عزة قد نزلت في جماعة من قومها في ناحية . . وكان  
له في هذه الناحية صديق قديم . . فأقبل كثير على صديقه وقال له :





— أريد أن أكون عندك اليوم .. لأكون قريبا من عزة .  
واستجاب صديقه .. وأقام في منزله حتى كان العشاء .. ثم أرسل  
صديقه إلى عزة وأعطاه خاتمه وقال :

— إذا سلمت .. فستخرج إليك جارية .. فادفع إليها بخاتمي هذا  
وأعلمها مكان .

وينطلق الصديق إلى مكان عزة ويسلم .. وتخرج إليه الجارية ويدفع  
إليها خاتم كثير .

فقالت : أين الموعد .

قال : صخرات أبي عبيد .. الليلة .

فواعدته هناك .. ورجع الصديق وأخبر كثيرا بالموعد .

فلما أمسى قال كثير لصديقه :

— انهض بنا .

فنهضا وجلسا هناك عند الصخرات يتحدثان حتى أقبلت عزة ..  
وتحدثت مع كثير .. وأراد الصديق أن يقوم ليخلو لهما جو العاطفة .. لكن  
كثيرا قال له :

— إلى أين يا صديقي تذهب .

قال : أخليكما ساعة لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتمان

قال كثير : بل اجلس .. فوالله ما كان بيننا شيء قط ..

فجلس الصديق وهما يتحدثان حتى السحر .. ثم قامت عزة

وانصرفا ..

ذلك ما يؤكد عذرية العاطفة بين كثير وعزة .. ذلك الحب الذي يملك  
على العاشق قلبه ووجدانه وعقله وشعره جميعا دون أن يدنسه بشيء آخر .

ويحاول الكثيرون حول كثير أن يشنوه عن حب عزة .. ومنهم عائشة بنت  
طلحة التميمية حين أرادت أن تختبر عشق كثير .. فقالت له :

— يا ابن أبي جمعة .. ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في





عزة .. وليست على ما تصف من الحسن والجمال .. لو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هن أولى بها منها - أنا أو مثلى - فانا أشرف وأوصل من عزة .  
فقال :

إذا ما أرادت خُلة أن تزيلنا      أبينا وقلنا : الحاجبية أولُ  
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا      ونحن لتلك الحاجبية أوصلُ  
لها مهل لا يستطيع دِراكه      وسابقة في الحب ما تتحول

فقالت عائشة : والله لقد سميتني لك خلة .. وما أنا لك خلة ..  
وعرضت على واصلك وما أريد ذلك وإن أردت .. ألا قل كما قال جميل :  
ويقلن إنك قد رضيت بباطل      منها فهل لك في اعتزال الباطل



وتشيع أخبار كثير وعزة بين العرب .. وكان عبدالملك بن مروان معجباً  
بكثير وشعره وأخباره ..  
وليلة كان عبدالملك يتسلى في مجلسه .. وكثير حاضر .. فسأله عن  
أعجب خبر له مع عزة .. فقال كثير :

حججت سنة من السنين .. وحج زوج عزة بها .. ولم يعلم أحد منا  
بصاحبه .. فلما كنا في بعض الطريق أمرها زوجها بشراء سمن تصلح به  
طعاماً لأهل رفقته .. فخرجت عزة تدور بالخيام خيمة خيمة لعلها تجد  
السمن .. حتى دخلت خيمتي .. وهي لا تعلم أنها خيمتي .. وكنت  
أبرى سهماً .. فلما رأيته جعلت أبرى لحمى وأنظر إليها حتى بريت  
ذراعى .. وأنا لا أعلم به والدم يجرى .. فلما تبينت عزة ذلك .. أقبلت  
على وأمسكت يدي .. وجعلت تمسح الدم بثوبها .. وكان لدى وعاء



سمن .. فحلفت أن تأخذه .. فأخذته .  
وتعود عزة إلى زوجها بالسمن والدم فوق ثوبها .. فسألها عن الخبر  
فأنكرت وكتمت الحقيقة .. حتى حلف عليها .. فأخبرته .. فأخذ  
يضر بها .. وأقسم أن تشتمني في وجهي .  
فأتتني مع زوجها .. وأخذت تسبني وهي تبكي .. فأنشدت ساعتها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا	قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت ..
تمنيتهما حتى إذا ما رأيتهما	رأيت المنايا شرعا قد أظلت
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت	من الصم لو تمشى بها العصم زلت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها	هوانى .. ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا - غير داء مخامر -	لعزة من أعراضنا ما استحلت

وهي قصيدة طويلة من عيون الشعر العربي يودعها حرقته وجنونه وعشقه  
الملتهب .

وتسوء حال كثير .. فهو لا يستطيع أن يرى عزة حين يشواق إليها ..  
وقد ضيق عليها زوجها .. وهددها إذا هي حاولت أن ترى كثير .  
ويعتزم الرحيل إلى مصر مع صديق له يقال له سائب .. فمر الصديقان  
على ماء قريب من خباء عزة .. فسلبا .. فقالت عزة : وعليك السلام  
يا سائب .

ثم أقبلت عزة على كثير فقالت :  
— ويحك .. ألا تتقى الله .. رأيت قولك :

بآية ما أتيتك أم عمرو ففقت لحاجتي والبيت خالي

أخلوت معك في بيت واحد أو في غير بيت قط .  
قال كثير : لم أقله ولكنني قلت :



فأقسم لو أتيت البحر يوما لأشرب ماسقتني من بلال  
وأقسم أن حبك أم عمرو لداء عند منقطع السعال

قالت عزة : أما هذا فنعم .  
ويسافر كثير إلى مصر . . ثم يعود مرة أخرى . . ويلتقى بعزة ويقول  
لها : السلام عليك يا عزة . . فترد : وعليك السلام يا جمل . .  
فينشد كثير :

حيثك عزة بعد الهجر فأنصرفت فحى ويحك من حياك يا جمل  
لو كنت حيثها مازلت ذا مقة عندى وما مسك الإدلاج والعمل  
ليت التحية كانت لى فأشكرها مكان يا جمل حيث يا جمل

وتسوء حال كثير ويصيبه الضجر والنحول ومرض مرضاً شديداً فبكى  
بعض أهله . : فقال كثير :  
— لا تبك . . فكأنك بى بعد أربعين ليلة تسمع صوت نعل من تلك  
الشعبة راجعاً إليكم .

لكن القدر لم يمهله . . فمات فى سنة ١٠٥ هـ ومات فى نفس اليوم  
عكرمة بن عباس . . فاجتمعت قريش فى جنازة كثير . . ولم يوجد لعكرمة  
من يحملة .

وقال الناس : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس . .  
وغلب النساء على جنازة كثير يبيكنه ويذكرن عزة فى نديتهن له .





هذه هي قصة كثير وعزة .. فماذا يمكن أن نقول عنها .  
لقد قصدنا هنا أن نسوق الأخبار كما ترونها المصادر الموثوقة .. ونحينا  
جانبا ما جاء من الأخبار نتيجة الأحقاد .. أو الغضب أو التحزب حتى  
لا تشوه صورة العاشق المجنون .. وهي أخبار نحسبها مدسوسة عليه وعلى  
عزة .. فمن ذا الذي يصدق كذب العاشق وهو يحرق نفسه في أتون  
الشعر .. ويبرى ذراعه في لقاء محبوبته .. ويفاخر بعشقه غير عابء  
بالمصير .

وحتى لو طبقنا على سلوك كثير .. ما يقول به علماء النفس .. فمن  
الصعب أن نصدق أن عقدة ما يمكن أن تلازم الإنسان طوال عمره ..  
ولا بد أنه في غمار الحياة .. يمكنه أن يحيل هذه العقدة أو هذه النقيصة إلى  
إضافة كبيرة في شخصيته .

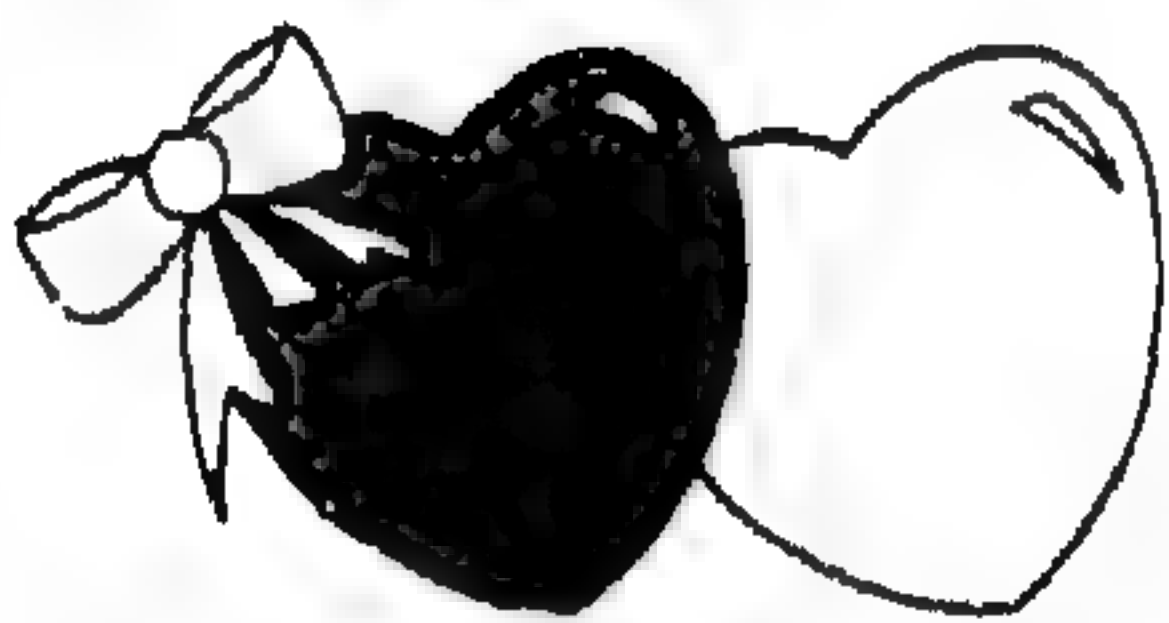
أما كان الأيسر على كثير - أمام دماسته وقصره - أن يستسلم إلى هذه  
النقيصة .. وأحسب أنه قد وفق إلى أن تنسى الناس ذلك عنه حينما برز في  
الشعر والسياسة والعشق جميعا ..

وكثير قد أنساه عشقه تماما ما كان يحس به من نقص .. ويكفيه وله عزة  
به .. واجتماع النساء على نعشه يوم جنازته .. ورواية ابن مروان  
لأشعاره .. وأخباره .. ألا يكتب ذلك كله له خلودا وعشقا وجنونا .  
إننا ننحاز إلى وضع كثير في قائمة العشاق الأصلاء .. والشعراء الفحول  
الذين تركوا لنا تراثا عظيما لا يموت أبدا .









العباس بن الأحنف  
مجنون فوز





يا غريب الدار عن وطنه  
مفرداً يبكى على شجنه  
كلما جدّ البكاء به ..  
دبت الأسقام في بدنه

العباس

ربما غلب الحب العذري على شعراء العصر الأموي .. بل مثل هذا الاتجاه لوناً خاصاً يضاف إلى تلك الساحة التي كانت تموج بالصراع السياسي العنيف .

ثم حينما نتصفح أوراق العصر العباسي .. فنحن أمام شعراء الغزل الذين تغلب عليهم صفة المجون من أمثال أبي نواس .. وحماد عجرد .. ومسلم بن الوليد وغيرهم .. حتى أننا لو أمعنا النظر قليلاً لأدركنا ندرة الألوان العاطفية الصادقة التي يمكن أن تكون امتداداً لغزليات العصر الأموي .

ومن هؤلاء الشعراء النادرين الذين صدقوا في عواطفهم وأشعارهم .. وتمثلوا تلك الألوان التي تقترب من عذرية الأمويين .. العباس بن الأحنف .. وعلى بن الجهم .. وابن الرومي .. وأبو العتاهية . لكن العباس بن الأحنف يجيء في مقدمة هؤلاء حيث يمثل بطلاً لقصة تماثل قصص المجانين مع حبيبته فوز .

وشاعرنا العباس بن الأحنف من بني حنيفة .. نشأ في نعمة وثراء جعلاه ينصرف عن شعر المديح الذي كان يجذب إليه عامة الشعراء طلباً للنوال والعطاء .

وكان يتعاطى الفتوة على ستر وعفة وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق



وفضل من نفسه .. وكان جوادا لا يحبس ما يملك .  
ويقول صاحب الأغاني : كان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً .  
ويشبهه البعض في عصره بعمر بن أبي ربيعة في عصره .. وكان شعره  
كله في الغزل والوصف .

ويقدمه جماعة من رواة الشعر بقولهم : كان العباس من الظرفاء ولم يكن  
من الخلفاء .. وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً .. وكان ظاهر النعمة ملوكي  
المذهب شديد الترف .. وكان قصده الغزل وشغله النسيب .. ولم يكن  
هجاء ولا مداحاً .

وقد فتح شهرته بالغزل باب قصر الرشيد حتى أصبح من ندمائه  
يصطحبه في غزواته .

ومن أجمل ما يروون عنه أنه خرج مع الرشيد ذات مرة إلى خراسان ..  
وكان الرشيد قد وعده أنه لن يغيب عن أهله في بغداد .. لكن الغياب  
طال .. فاشتد به الشوق إلى أهله .. واحتال هو بأبيات تصل إلى سمع  
الرشيد لعله يسمح له بالعودة .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا	ثم القُفول .. فقد جئنا خراسانا
متى يكون الذي أرجو وآمله	أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
ما أقدر الله أن يدني على شَحَطِ	سكان دجلة من سكان جيحانا
ياليت من نتمنى عند خلوتنا	إذا خلا خلوة يوماً ثمانا

وتصل الأبيات إلى سمع الرشيد .. فيتأثر بها ويأذن للعباس بالعودة إلى  
بغداد .

ولندخل إلى عالم العشق لدى العباس .  
وتبدأ القصة حينما توثقت صلة الشاعر بمحمد بن منصور بن زياد الملقب  
بفتى العسكر .



موفى إحدى لقاءاته به .. رأى عنده جارية جميلة تسمى فوز .. فوقعت  
 في قلبه .. وأخذ يكثر من زياراته .. حتى عرف أمره .  
 لكن فوزاً كانت تصده .. وهو يزداد لها حبا وهياما ..  
 ويحسّ حرماناً قاتلاً .. وقلقاً مشرداً فأخذ ييشها قلقه وآساه :

قد كنت أرجو وصلكم فظللْتُ منقطع الرجاءِ  
 أنت التي وكّلت عيني .. بالسهاد وبالبكاءِ  
 إن الهوى لو كان ينفذ فيه حكْمى أو قضائى  
 لطلبته وجمعه من كل أرض .. أو سماءِ  
 فقسّمته بينى وبين حبيبِ نفسى بالسواءِ  
 فنعيش ماعشنا على محضِ المودة والصفاءِ  
 حتى إذا متنا جميعا والأمور إلى فناءِ  
 مات الهوى من بعدنا أو عاش في أهل الوفاءِ

وتبدأ فوز لتكون وحيدة هواه .. لا قبلها ولا بعدها حبيبة .. ويتمادى  
 في عشقه لها .. وهى تتمادى في صده وهجره .. ويبكى العباس :

أما والذي أبلى المحب وزادني      بلاءً لقد أسرفت في الظلم والهجر  
 فإن كان حقاً ما زعمت أتيته      إليك فقام النائحات على قبري  
 وإن كان عدواناً على وباطلاً      فلا مت حتى تسهرى الليل من ذكرى

وتصل فوز هذه الأبيات فيرق قلبها وتبعث إليه :  
 — أظننا قد ظلمناك يا أبا الفضل .. فاستجيبت دعوتك فينا .. مازلت  
 البارحة ساهرة ذاكرة لك .  
 ويعلم أخو فوز بعشق العباس .. ويشور من داخله على هذه العاطفة ..  
 فيرسل إليه يتهدده .. ويقسم ليواجهه .





ولا يثنى العباس هذا التهديد . . بل عزم على أن يكون شهيد حبه الذي  
أرداه :

أيام يرصدني أخوك بسيفه      والسيف يمنعني وتمنعه يدي  
وأرى الكواعب يغتنمن رسائلي      لولاك كان لبعضهن توددي  
إني لأصبح في جهاد منكمو      كموحد أرداه دين الملحد  
فلئن هلكت لتصبحن أثيمة      ولأرزقن شهادة المتشهد

وكان دائم التراسل مع فوز . . يبعث إليها بما يريد من رسائل أو برغبة  
في اللقاء .

يا فوز هل لك أن تعودى للذي      كنا عليه منذ نحن صغار  
فلقد خصصتك بالهوى وصرفته      عمّن يحدّث عنهم فيغار  
هل تذكرين بدار بكرة لوها      ولنا بذاك مخافة وحذار

ولنتوقف لنمعن النظر قليلاً . . ألا يذكرنا هذا بقيس بن الملوح وصاحبته  
ليلي وتستمر القصة . . وتمعن في التعقيد . .  
لقد انتقلت فوز من ملك محمد بن منصور إلى ملك بعض أمراء بني  
العباس وحج بها الأمير . . وبعدت فوز عن نظر العباس . . فمضى يبكها  
مصوراً شوقه وهيامه الحارق :

أزين نساء العالمين أجيبني      دعاء مشوق بالعراق غريب  
كتبت كتابي ما أقيم حروفه      لشدة إعوالي وطول نحبي  
أخط وأحور ما أخط بعبرة      تسح على القرطاس سح ذنوب  
أيا فوز لو أبصرتني ما عرفتني      لطول نحولي بعدكم . . وشحوبي  
وأنت من الدنيا نصيبي فإن أمت      فليتك من حور الجنان نصيبي



أرى البين يشكوه المحبون كلهم      فيارب قَرَب دار كل حبيب

وتعود فوز من رحلة الحج .. ليعود إليه عذابه بها .. ويظل يذكرها  
ويهتف باسمها وحبها لها :

أميرتي لا تغفري ذنبي      فإن ذنبي شدة الحب  
حدثت قلبي دائماً عنكمو      حتى قد استحييت من قلبي

ويشعر العباس بالعصيان الذي يصدر عن فوز .. لكنه عصيان محب :

أستغفر الله إلا من مودتكم      فإنها حسناق يوم ألقاه  
فإن زعمت بأن الحب معصية      فالحب أحسن ما يعصى به الله

وقد كان لهذا العصيان وهذا الصد أثر شديد على مزاجه .. فكان عنيفاً  
في سلوكه وتعامله مع الغير .

ويروى عنه أنه ضرب غلاماً له وحلف أن يبيعه .. فمضى الغلام إلى  
فوز فاستشفع بها عليه .. فكتبت إليه فيه .. فقال :

يا من أتنا بالشفاعات      من عند من فيه لجاجاتي  
إن كنت مولاًك فإن التي      قد شفعت فيك لمولاتي  
إرسالها فيك إلينا لنا      كرامة فوق الكرامات

ورضى عنه .. ووصله .. وأعتقه .

وكان يجلس إلى أصدقائه فيبدو عليه الأسى والكآبة والضجر ..  
والنحول .. وبلغ به ذلك مبلغاً عظيماً فسأله : ماذاك ؟

فقال : لقيتني فوز اليوم فقالت لي باشيخ .. وما قالت ذلك إلى من

ملل .. أو يأس .



فقالوا له : هون عليك إنها امرأة لا تثبت على حال .. وما أرادت إلا  
العبث بك والمزاح معك .  
فقال : إني والله قد قلت أقبح مما قالت .. ثم أنشد :

هزئت إذ رأت كئيلاً معنيً أقصدته الخطوبُ فهو حزينُ  
هزئت بي ونلتُ ماشئتُ منها يالقومي فأينا المغبون

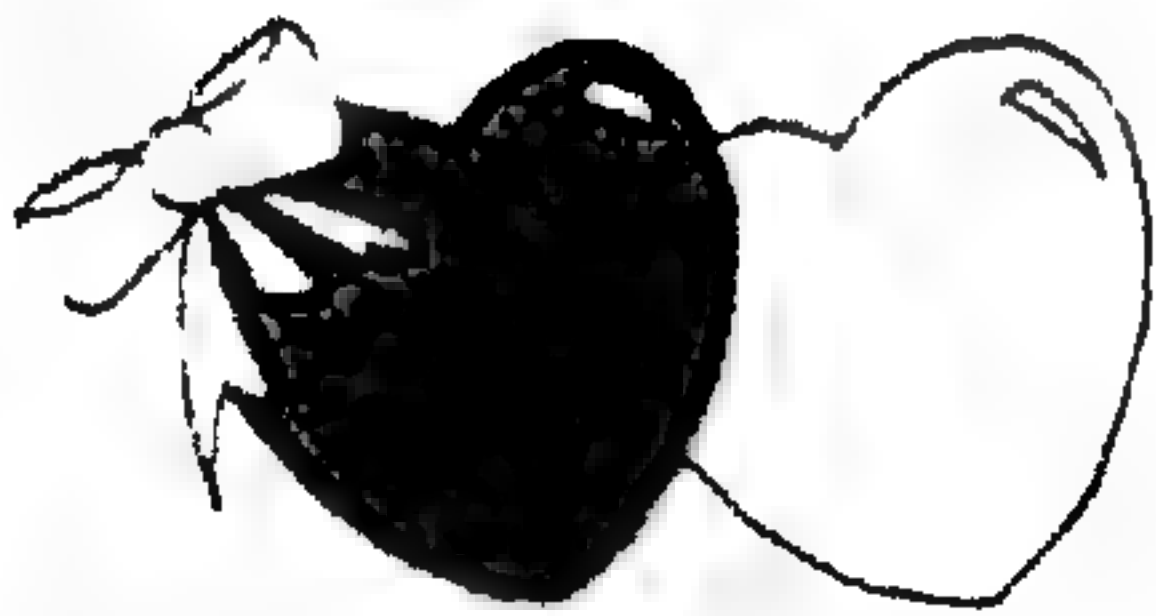
فقالوا له : لقد أنصفت نفسك والله .  
وتقترب القصة من نهايتها .  
لا أمل في الفوز بفوز .. ولا أمل لديه من الحياة جميعاً .. وليكن شهيد  
العشق .. وشهيد الانتظار .. واليأس .  
ويخرج إلى البيداء وقد نال منه النحول .. والضعف .. ومعه غلام  
مخلص .. فاستلقى تحت شجرة .. ورفع طرفه .. وهو لا يكاد يرفعه  
ضعفاً وسقماً .. وأنشأ يقول آخر كلماته :

يا سقيم الجسم من مخنه مفرداً يبكي على شجته  
كلما جدَّ البكا به .. دبَّت الأسقامُ في بدنه

ثم أغمى عليه .. وأقبل طائر فوقف على الشجرة .. وجعل يغرد ..  
فسمع العباس تغريده وفتح عينيه مرة أخرى وقال :

ولقد زاد الفؤاد شجى طائرُ يبكي على فنيه  
شفه ما شفى فبكى كلنا يبكي على سكينه

ثم تنفس تنفساً مديداً فاضت فيه روحه .. لتنطوي صفحة طاهرة نقية  
من الغزل الذي يشبه الغزل العذرى .. المجنون .



ديك الجن  
وجنون الندم







نديم عيني بعدك الكوكبُ  
 ولوعةً أناتها تُلهبُ  
 ما امتنع الدمع .. وإسباله  
 على ما امتنع المطلبُ  
 إن تكن الأيام قد أذنبتُ  
 فيك .. فإن الدمع لا يذنبُ  
 ديك الجن

هذه قصة جنون مختلفة !  
 فإذا كان جنون الشعراء العذريين .. في الانقطاع كاملاً إلى هذه العاطفة  
 الرومانسية مع الحبيبة .. يعيشون بها .. ويموتون بها .. ويتحملون في  
 سبيلها معاناة تفوق طاقة البشر .  
 فإن ديك الجن هنا حطّم كل هذه الملامح .. وأصابه جنون الغيرة  
 والندم بعد ذلك .. فتفرد بصورة جنون لم تكن لدى أحد من الشعراء .  
 أما ديك الجن فهو أبو محمد عبدالسلام بن رغبان .. وأما لقبه الذي  
 غلب عليه فهو ديك الجن .. أحد شعراء الدولة العباسية .. عاش ومات  
 في مدينة حمص .. فعرف بديك الجن الحمصي .  
 ولعلنا نتساءل عن أصل هذا اللقب الذي التصق بعبدالسلام بن  
 رغبان .  
 والإجابة تأتي بأكثر من وجه .. فمن قائل إنه يدعى ديك الجن لأن عينيه  
 خضراوان .



ومن قائل إنه كان يكثر من خروجه إلى البساتين ومعاقرته للخمر ..  
فسمى بذلك تشبهاً بدويبة توجد في البساتين إذا ألقيت في خر عتيق تظل  
فيها حتى تموت .. ومنهم من أجهد نفسه حتى وجد في شعر ديك الجن هذا  
البيت :

دعانا أبو عمرٍ عميرُ بنُ جعفرٍ      على لحمٍ ديكٍ دعوةً بعد موعِدٍ

فألصق به اسم الديك .. وأتبعه بالجن !  
وديك الجن شاعر مجيد من شعراء الدولة العباسية .. وكان من ساكني  
حمص وكان يتشيع تشيعاً حسناً .. وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي .  
وهو أستاذ لأبي تمام .. ومعاصر لأبي نواس .. ودعبل الخزامي ..  
وبشار .. والبحترى .

وكان ديك الجن جريئاً على الشعر .. مجدداً في عصر يتمسك بالتقاليد  
الفنية ولا يعترف بغيرها .

وكان متطرفاً في كل شيء .. متطرفاً في لهوه وخمره .. متطرفاً في  
أشعاره .. وبالرغم من ضياع معظم شعره .. إلا أن ما وصلنا منه يكفي  
لنعرف منه قصته مع حبيبته ورد فماذا عن هذه القصة .. وكيف تختلف  
عن غيرها من قصص المجانين !

## ٢

كان لديك الجن ابن عم له يقال له : أبو الطيب .. وكان يحقد عليه  
ويبغضه .. ويروى أنه جاءه يوماً يقول له :  
— يا ابن عمي أرى أنك تنفق مالك فيما لا طائل منه .. ولو كنت  
مكانك لأمسكت يدي على ميراث أبي .. وأثميت .. وجعلته بعيداً عن يد  
الأيام .



ويتبسم ديك الجن في وجه ابن عمه قائلاً :  
— لا تخش علي يا أبا الطيب فأنا لا أخاف الفقر .. وهب أن أموالى  
نفدت ألا يكفينى شعرى :

ما الذنب إلا لجدي حين ورثنى      علماً .. وورثته من قبل ذاك أبى  
فالحمد لله حمداً لا نفاذ له      ما المرء إلا بما يحوى من النشب

ويمضى أبو الطيب مغيباً من إصرار ديك الجن على ما يفعل .. ويضمّر  
في نفسه شراً له .

وكما اعتدنا في قصص العشق العربى .. يلتقى الحبيبان وكأن القدر  
يسوقهما إلى هذا اللقاء .

لقد كان ديك الجن يوماً يطوف بالسوق .. فوقعت عيناه على وجه  
صبيح .. ووجد لسانه يلهج قائلاً :

سقانى ثم قبلنى وأومى      بطرفٍ سقمه يشقى سِقامى

فمن تكون صاحبة هذا الوجه الصبيح ؟  
يقول عنها ديك الجن :

انظر إلى شمس القصور وبذرها	وإلى خزامها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً فى أسودٍ	جمع الجمال .. كوجهها فى شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها	من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها	عجباً .. ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها	وردية ومدامة من ثغرها

من هى إذن شمس القصور هذه .. وردية الوجنات -



إن اسمها ورد .. جارية نصرانية من أهل حمص .. وقعت في قلب  
ديك الجن وسلبت لبه وخیاله وأشعاره .  
ويعلم أبو الطيب بهذا الحب الذي رآه فرصة سانحة للليل من ديك  
الجن .. فأقبل عليه يلومه على حبه لنصرانية .. وكيف ينوى الاقتران بها  
وهي ليست على دينه .  
وكانت المفاجأة ..  
أجابه ديك الجن في هدوء :  
— ما رأيك يا ابن عمي لو أن ورداً أجابتنى إلى ديني وأسلمت ..  
أيكفي هذا لكي يطمئن قلبك ؟  
وأسقط في يد أبي الطيب ويزداد حقدا عليه .  
ويدرك ديك الجن ما تنطوى عليه نفس أبي الطيب .. فكلما قال ديك  
الجن قصيدة جديدة .. وقعت في قلب أبي الطيب كالسهم القاتل .. وكلما  
سمع خبراً عن عاطفة ديك الجن وورد .. ازداد غيظاً .  
ويجد ديك الجن نفسه يصور هذه الحالة :

يا عجباً من أبي الخبيث ومن	خروجه في النكائر الدثرة
يحمل رأساً تنبو المعاول عن	صفحته والجلامد الوعرة
لو البغال الصلب ارتقت سندا	فيه لمدت قوائماً خدرة
يا كل من وكل طالعة	نحس ويا كل ساعة عسرة
سبحان من يمك السماء على الأر	ض .. وفيها أخلاقك القدرة

ويدفع هذا الموقف ديك الجن فيقترن بحبيبه ورد .. وتسلم ورد ..  
ويظلهما سقف واحد .. ويفد على ديك الجن أصدقاؤه ومحبه ليهنتوه بهذا  
الزواج السعيد .





يكاد شعر ديك الجن الذى وصلنا يجسد هذه العاطفة المجنونة بين ديك الجن وورد .. لقد ملكت عليه حياته ليل نهار :

قولى لطيفك يثنى عن مضجعى .. عند المنام  
عند الرقود .. عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعمسى أنام فتتطفى نارٌ تأجج فى العظام  
فى الفؤاد .. فى الضلوع .. فى الكبد .. فى البدن  
جسدٌ تقلبه الأكف على فراشٍ من سقام  
من قتاد .. من دموع .. من وقود .. من حزن  
أما أنا فلقد علمت .. فهل لوصلك من دوام  
من معاد .. من رجوع .. من وجود .. من ثمن

ويجد أبو الطيب نفسه فى موقف لا يجسد عليه .. فقد وفد إلى ديك الجن أهل حمص يهشونونه ويباركون هذا الزواج .  
إن عليه أن يفعل هذا أيضا .. ولو كان هذا ضد رغبته .  
ويذهب أبو الطيب .. ويهين ديك الجن وزوجته .. ويتظاهر بالحب والمودة .. ويتمنى لهما السعادة .

ويبدو أن ديك الجن كان قد أسرف على نفسه .. وأنفق ماله على استقبال ضيوفه وأصدقائه يشرب معهم حتى الصباح .. تغرقه السعادة والفرحة .. حتى أعسر واختلت حاله .

وأخذ يفكر فى مصيره .. ماذا يفعل .. وكيف يحصل على المال الذى يكفيه هو وحبيبته والذى يعينه على عوادي الزمن .

إنه لا يريد أن يشمت فيه أحد خاصة ابن عمه أبو الطيب .  
وتقدم له ورد عقدها الذهبى الثمين لكى يبيعه وينفق من ثمنه .. لكنه





يرفض ذلك ويفضل أن يرحل إلى سَلَمِيَّة قاصداً أحمد بن علي الهاشمي .  
وتود ورد أن تصحبه في رحلته . . لكنه وجدها أمراً شديداً الوطء على  
صديقه أن يستضيف اثنين . . وفضل أن يذهب وحده .  
ويوم الرحيل قبل ديك الجن حبيبته قائلاً :  
— لن أغيب طويلاً عنك يا حبة القلب . . وإذا أعوزتك الحاجة فلديك  
ابن عمي أبو الطيب وقد أتانا معذرا .  
صحبتك السلامة يا ديك الجن .  
لقد كنت شأن الشعراء الأصفياء القلب . . تعفو وتصفح وتنسى كل  
إساءة . . وتوصي امرأتك بأن تتصل بابن عمك فقد أتاك مهتماً معذرا . .  
وجمع بينكما الطعام والشراب . . فلا مكان إذن للغدر أو الخيانة .  
ويعلم أبو الطيب برحيل ديك الجن .  
هذه فرصتك يا أبا الطيب . . إنه يحدث نفسه في شماته :  
— هذا ديك الجن قد أتلّف ماله الذي ورثه عن أبيه . . وكان يمكنني أن  
أطالبه بنصيبى فيه .  
وهو شاعر طبق بشعره الآفاق . . وروته الرواة . . وحاز من الشهرة  
ما لم أنله أنا طوال حياتي . . بل زاد على ذلك أن هجاني بقصيدة رواها عنه  
حسادى وأعدائي . . وأصبحت مضغة في أفواههم لوقت طويل .  
وهذه الحسنة الذي فاز بها ولم يكن يستحقها . . لقد حاولت أن أبعده  
عنها لعلني أنجح في الوصول إليها . . لكنه تحداني واقترون بها . . وأصبحت  
هى أيضاً حديث الناس من شعر ديك الجن .  
والآن . . لقد خلت الساحة لك يا أبا الطيب .  
وتجسد الشيطان في داخل أبي الطيب ليرسم مؤامرة دقيقة الخيوط .  
لقد استدعى أبو الطيب غلامه بكر . . وأمره أن يذهب إلى ورد ببعض  
الهدايا ويخبرها بأن سيده يريد أن يذهب إليها في الليل .  
وتأبى ورد هدايا أبي الطيب وترفض قبول الزيارة لها في الليل .



ويحقق أبو الطيب في أول اختبار .. ليفكر في شيء آخر .  
 ماذا ينوي أن يفعل أبو الطيب !؟  
 لقد أشاع أن ورداً تخون ديك الجن مع غلامه بكر .  
 واجتهد في إذاعة هذا الخبر في كل مكان .. ويظل الخبر يتناقل ..  
 ويتناقل .. حتى يصل خارج حمص إلى سلمية .. وإلى أسماع أحمد  
 الهاشمي .. الذي يخبر به ديك الجن في أثناء إقامته عنده ..  
 ويشور ديك الجن .. ويعزم على العودة والثأر من زوجته الخائنة .



ويعلم أبو الطيب بعودة ديك الجن .. لم يبق غير يومين .. ويصل ديك  
 الجن إلى حمص وعلى أبي الطيب أن يقيم الدليل على خيانة ورد .. في  
 حضور ديك الجن .

ويعود ديك الجن ويستقبله الناس على مشارف حمص يؤكدون له سوء  
 خلق زوجته وفسادها .. وهو لا يرد عليهم .. بل أخذ يسابق الريح حتى  
 دفع باب بيته .

وكانت لحظات قاسية سريعة .. جرت على هذا النحو .  
 إن ورداً تستقبل زوجها العائد بلهفة محنونة .. لكنه ينكر منها هذه  
 الלהفة . وتندهش ورد لسلوك زوجها .. فيصرخ فيها :  
 — ألا تعلمين ماذا بي يا خائنة .. ومع من .. مع غلام أبي الطيب ..  
 هل هانت عليك نفسك وهنت أنا عليك إلى هذا الحد .  
 ويتدخل غلامه سعيد لعله ينقذ سيده من هذه الوشاية .. فلا يسمع له  
 ديك الجن .

وتقسم له ورد أن شيئاً من هذا لم يحدث .. وأنها وفية له ..  
 ويسمع طرقة الباب .  
 وتسود لحظة صمت .. ينظر ديك الجن فيها إلى ورد في ترقب ..



ويأمرها أن تسأل : من الطارق .  
 وفي رعب شديد تسأل ورد : من الطارق .  
 كان غلام أبي الطيب من يطرق الباب .. إنه يجيب :  
 — أنا بكر يا ورد ..  
 لم يقل أنا بكر يا سيدتي .. والمعنى مقصود !  
 ويصيح ديك الجن :  
 — أرأيت أيتها الكاذبة الملعونة .. إنه يناديك باسمك .. لقد زعمت  
 أنك لا تعرفين شيئا عن هذا الأمر .  
 وتؤكد له ورد وهي باكية : أنا لا أكذب والله .. صدقني .. إنها  
 خديعة .  
 ويتدخل سعيد غلام ديك الجن .. فينحيه ويلقيه أرضا .. وينزع سيفه  
 من غمده ويهوى عليها به .. فتسقط صريعة في دماؤها الشريفة .  
 ويصرخ ديك الجن :

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ	وإلى ذلك الوصال وصلتُ
فالذي مني اشتهمت عليه	ألعار ما قد عليه اشتهمتُ
قال ذو الجهل قد حلمت ولا أعلم	.. أني حلمت حتى جهلتُ
سوف آسى طول الحياة وأبكىك	على ما فعلت لا ما فعلتُ
لائم لي بجهله .. ولماذا	أنا وحدي أحبيتُ ثم قتلتُ

ويسأله غلامه : ماذا فعلت ياسيدي ؟  
 فيجيب : لقد غسلت عاري بسيفي ياسعيد .. لقد شفيت غليلي ..  
 وسوف أخرج للناس معلنا ذلك .

خنت سرى مواتيهِ والمنسـايا معادية



أيها القلب لا تعدّ لهوى البيض ثانية  
ليس برق يكون أخلب من برق غانية  
نخت سرى ولم أحنك .. فموق علانية

ولنتوقف قليلاً أمام هذه المأساة .. كما توقف الكثيرون قبلنا ..  
لقد وصفه البعض بأنه عطيل العرب .. وورد مثل ديدمونة البريئة ..  
وأبو الطيب أشبه ( بياجو ) ذلك الشرير الذى نسج خيوط التآمر .  
ومن هنا كانت المأساة واحدة من قمم الدراما العربية ..  
ليته ما سافر ورحل إلى سلمية .  
وليته استوثق من الوشاية .  
لكن تطرفه الشديد هو الذى حدا به إلى تصديق ما يقال وما يشاع ..  
لقد أعمته الغيرة .. فاستجاب للهواجس والأوهام .  
ألم تكن تستطيع أن تتحرى الأمر ياديك الجن !

٥

ويعتكف ديك الجن فى بيته حزيناً على مصيره ..  
أما أبو الطيب فقد فضل أن يبيع غلامه بكراً إلى أحد التجار ..  
ويتخلص منه .. ثم ينطلق إلى ذيك الجن يواسيه فى محنته .. ويترك له  
بعض المال .  
لقد تحقق هدف أبي الطيب .  
ترى هل وصلنا إلى آخر أوراق المأساة .  
إن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد .. فقد ظل الفتى يعذبه ضميره ..  
لا ينام الليل ولا يغمض له جفن .. إنه لا ينسى طهارة ونقاء وصفاء سيده  
ورد .





أراد الفتى أن ينزل عن كاهله هذا العبء الثقيل .  
 دخل على سيده التاجر . . . وقص عليه قصته .  
 ولم ينم التاجر ليلته . . بل انطلق يرحل إلى حمص حيث ديك الجن . .  
 ويخبره بحقيقة الأمر .  
 ويدرك ديك الجن في الوقت الضائع ما جتته يداه .  
 لقد ظلم ورداً . . واتهمها ظلماً بالخيانة . .  
 لكن ماذا يمكنه أن يفعل الآن . . كيف يعيد ورداً إلى الحياة . . إنه شيء  
 مستحيل . .  
 ويسرع ديك الجن إلى قبر ورد . . يحفره بأظفاره ويأخذ بعضاً من رفات  
 جسدها الطاهر ليصنع منه كأساً يشرب بها طوال حياته .  
 ويظل يبكي ويبكي .  
 ويظل يندم ويندم بلا جدوى .

يا طُلعة طلع الحمام عليها	وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	روى الهوى شفتى من شفتيها
قد بات سيفى في مجال وشاحها	ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعلها وما وطىء الحصى	شيء أعز على من نعلها
ما كان قتلها لأنى لم أكن	أبكر إذا سقط الغبار عليها
لكن ضمنت على العيون بحسنا	وانفت من نظر الحسود إليها

ويمرغ وجهه في تراب قبرها . . ويشرب بكأس رفاتها . . فيسكر حتى  
 الثمالة ثم يفيق مرة أخرى ليرثيها بشعره :

أساكن حفرة وقرار لحد	مفارق خلة من بعد عهد
أجبنى إن قدرت على جوابي	بحق الود . . كيف ظلت بعدى





وأين حلت بعد حلول قلبي      وأحشائي وأضلاعي وكبدى  
أما والله قد عانيت وجدى      إذا استعبرت في الظلمات وحدى  
ويعذلني السفيه علي بكائي      كأني مبتلى بالحزن وحدى  
يقول قتلتها سفهاً وجهلاً      وتبكيها بكاء .. ليس يجدى  
كصياد . الطيور له انتخاب      عليها وهو يذبحها بحد ..

ويظل مغشياً عليه لا يفيق إلا على أبيات جديدة يندم فيها .. ويرثي بها  
ورداً .. وكان قومه يدركونه ويأتون له بالطعام فلا يأكل .. حتى جاءوه  
يوماً وهو في آخر لحظاته فسمعوه يقول أبياته الأخيرة :

عهدي به ميتاً كأحسن نائم      والحزن يسفح عبرتي في نحره  
لو كان يدري الميت ماذا بعده      بالحي .. حل .. بكى له في قبره  
غصص تكاد تفيض منها نفسه      ويكاد يخرج قلبه من صدره

ويسلم ديك الجن روحه إلى بارئها نادماً حيث لا يجدى الندم .





## الفهرس

### الصفحة

- تمهيد في الحب .. والجنون .....
- ١ - المرقش الأكبر وصاحبه أسماء .....
- ٢ - المرقش الأصغر .. ومعاقبة الذات .....
- ٣ - يزيد بن الطثرية .. عاشق اليمامة .....
- ٤ - المخبل .. وميلاء .....
- ٥ - ابن العجلان .. عاشق زوجته .....
- ٦ - عبدالله بن علقمة .. وصاحبه حبيش .....
- ٧ - مروة بن عبدالله .. ومعشوقته .. ليلي .....
- ٨ - القشيري .. مجنون ريا .....
- ٩ - عروة بن حزام .. رائد العذريين المجانين .....
- ١٠ - قيس بن الملوح .. مجنون ليلي .....
- ١١ - قيس بن ذريح .. مجنون لبنى .....
- ١٢ - جميل بن معمر .. وبشينة .....
- ١٣ - كثير بن عبدالرحمن .. مجنون عزة .....
- ١٤ - العباس بن الأحنف .. مجنون فوز .....
- ١٥ - ديك الجن .. وجنون الندم .....



غلاف : محمد عفت

ماكيت وإخراج : خالد عبدالرازق



## المؤلف

### ١ - الشعر :

- |      |                      |  |
|------|----------------------|--|
| ١٩٦٧ | دار الكتاب العربي    | * الطريق والقلب الحائر                 |
| ١٩٧٠ | مؤسسة التاليف والنشر | * الهجرة من الجهات الأربع              |
| ١٩٧٣ | دار الناشر العربي    | * البحث عن الدائرة المجهولة            |
| ١٩٧٧ | مكتبة مدبولي         | * الليل وذاكرة الأوراق                 |
| ١٩٨٠ | هيئة الكتاب          | * الخروج إلى النهر                     |
| ١٩٨٥ | دار الشروق           | * السفر والأوسمة                       |
| ١٩٨٦ | مكتبة مدبولي         | * العطش الأكبر                         |
| ١٩٨٧ | هيئة الكتاب          | * الشوق في مدائن العشق                 |
| ١٩٨٩ | دار الشروق           | * قراءة في كتاب الليل                  |
| ١٩٩٢ | هيئة الكتاب          | * الأعمال الشعرية ( ٨ دواوين في مجلد ) |
| ١٩٩٣ | دار الشروق           | * شظايا                                |

### ب - المسرح الشعري :

- |           |             |           |
|-----------|-------------|-----------|
| ١٩٨٢      | دار المعارف | * اخناتون |
| ١٩٨٣      | هيئة الكتاب | * شهر يار |
| تحت الطبع | هيئة الكتاب | * عنبرة   |

### ج - دراسات :

- |      |                            |                                 |
|------|----------------------------|---------------------------------|
| ١٩٨١ | المجلس الأعلى للثقافة      | * شعرنا القديم رؤية عصرية       |
| ١٩٨٤ | هيئة الكتاب                | * المرأة في شعر البياتي         |
| ١٩٨٥ | دار المعارف                | * أطفالنا في عيون الشعراء       |
| ١٩٨٦ | المركز القومي لثقافة الطفل | * محمد الهراوي شاعر الأطفال     |
| ١٩٩١ | مركز الكتاب للنشر          | * التربية الثقافية للطفل العربي |
| ١٩٩١ | الدار المصرية اللبنانية    | * مسلمون هزموا العجز            |

### د - للأطفال :

- |      |                     |   |
|------|---------------------|---|
| ١٩٨٠ | دار الشروق          | * حكايات من ألف ليلة وليلة ( ٥ حكايات ) |
| ١٩٨٧ | مؤسسة الخليج العربي | * عشر مسرحيات شعرية                     |
| ١٩٨٩ | مؤسسة الخليج العربي | * حكمة الأجداد                          |
| ١٩٩٣ | دار المعارف         | * أبو العلاء المعري                     |

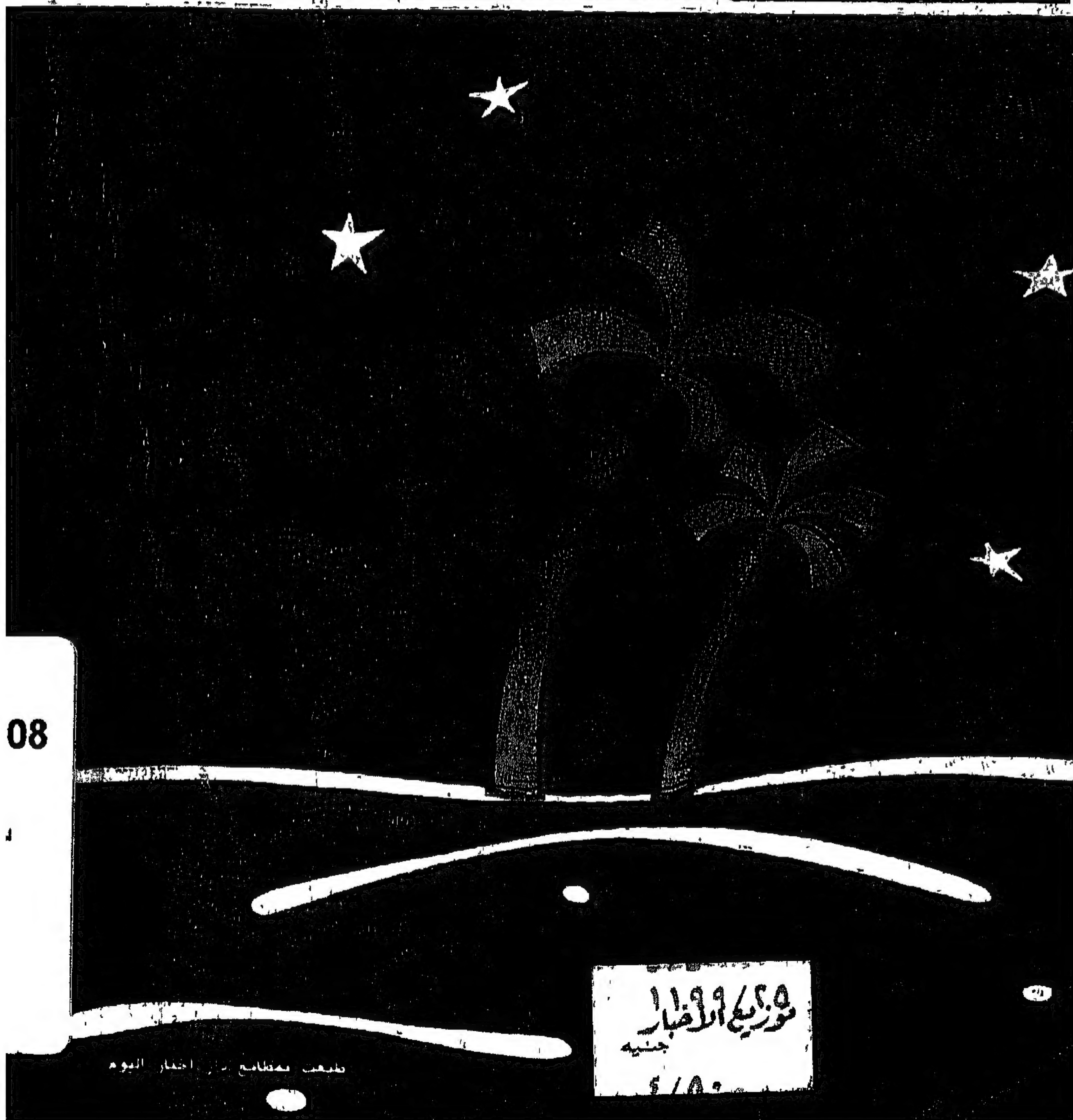
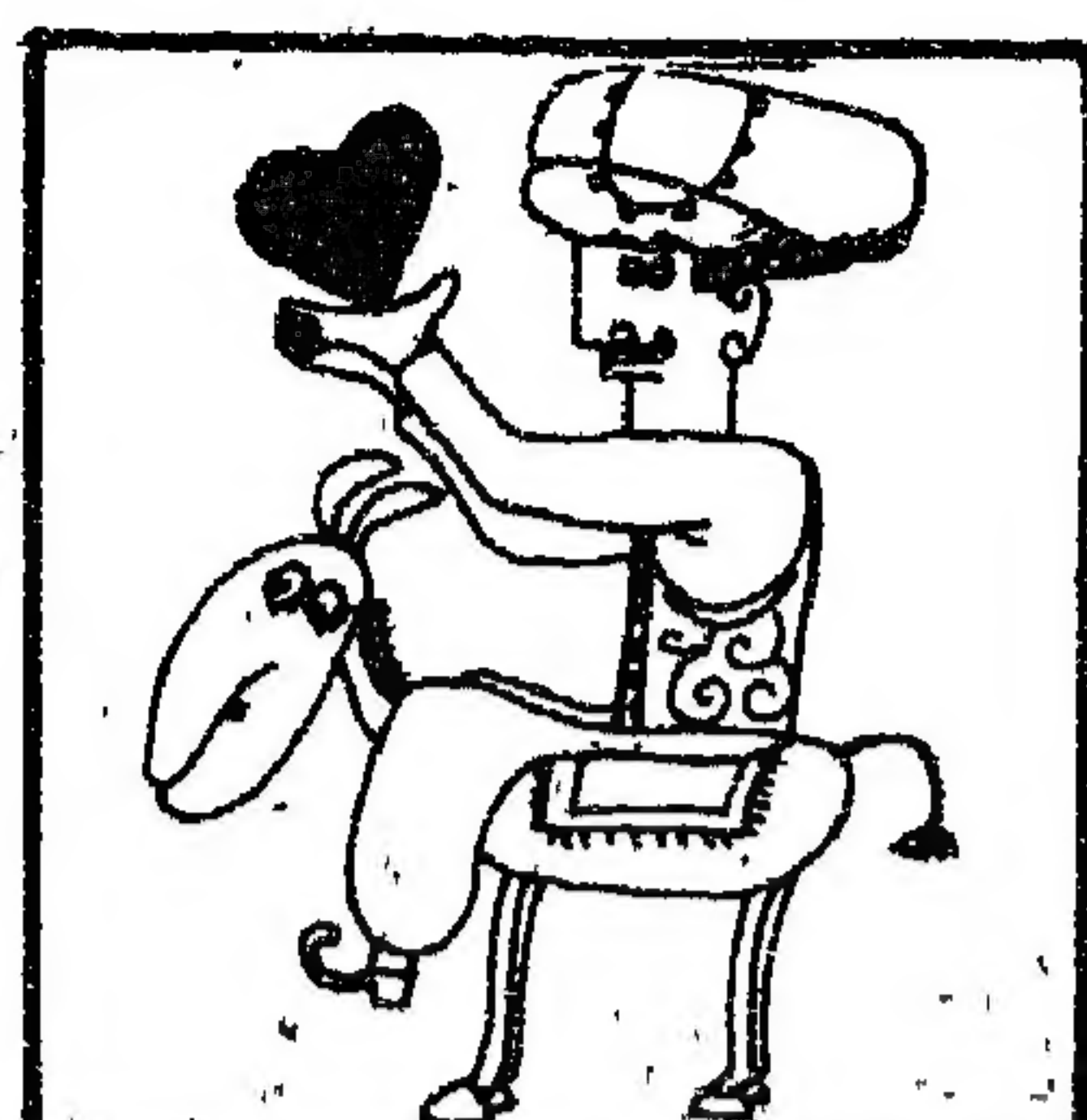
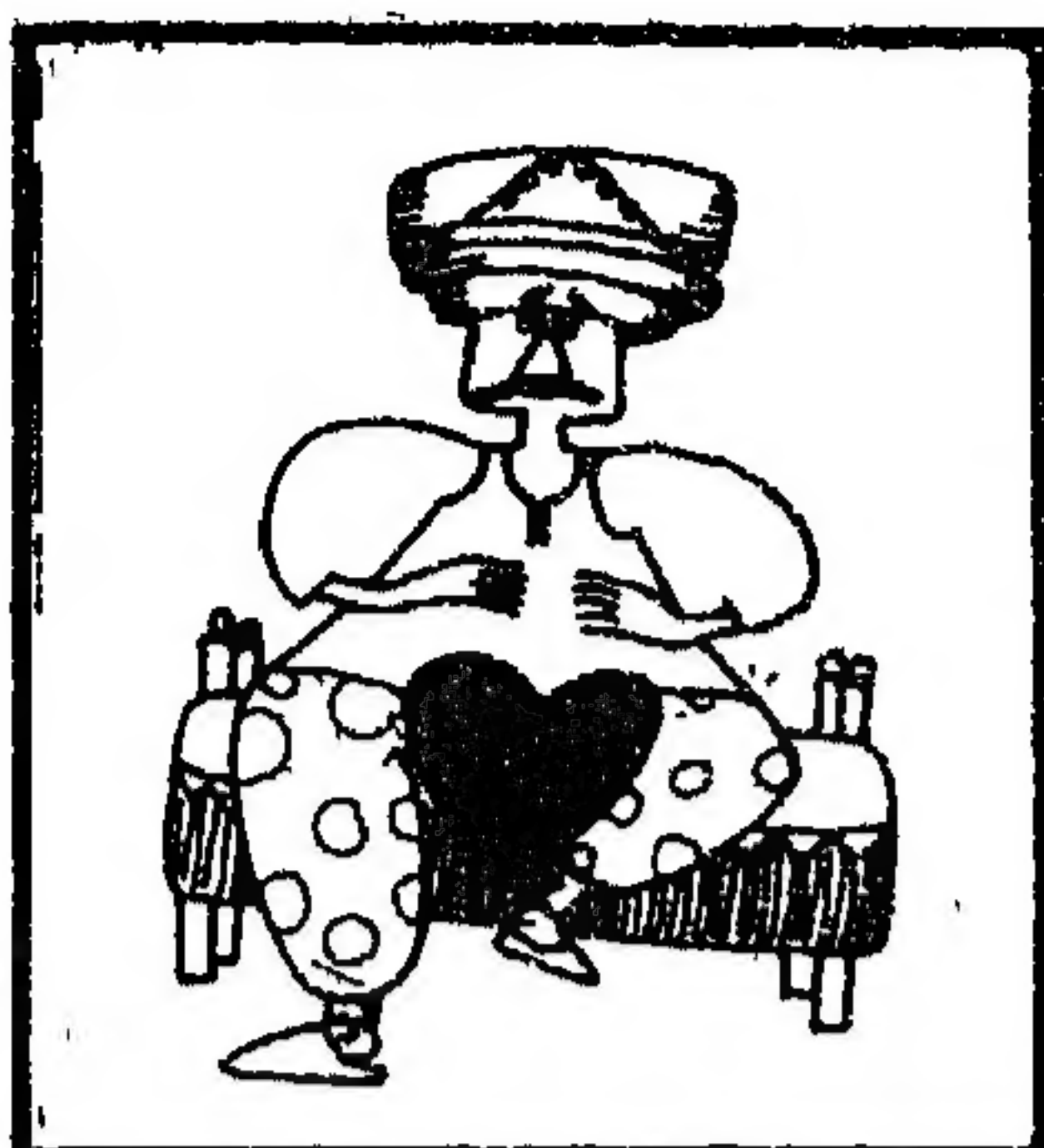




رقم الايداع ٩٣/٧٠٨٩  
I.S.B.N  
977 - 08 - 0197 - 6







08

توزيع الأقطار  
جنتيه  
١١٩٩/٢٥  
٤/٥٠

توزيع الأقطار